مفاتيح القلوب

كلُّ باب له مفتاح.. والمفتاح المناسب لفتح قلوب الناس هو معرفة طبائعهم.. حل مشاكل الناس.. الإصلاح بينهم.. الاستفادة منهم.. اتقاء شرورهم.. كل ذلك تصبح فيه بارعًا إذا عرفت طبائعهم.

افرض أن شابًّا وقع بينه وبين أبيه خلاف.. اشتد الخلاف حتى طرده أبوه من البيت.. حاول الابن العودة مرارًا لكن الأب كان عنيدًا مصرًّا.

دخلت للإصلاح بينهما.. حدثت الأب بالنصوص الشرعية.. خوفته من إثم القطيعة.

لم يلتفت إليك.. كان مشحونًا غاضبًا جدًّا.. أردت أن تستعمل أساليب أخرى للإصلاح.. عرفنى من طبيعة هذا الأب أنه عاطفي جدًّا.

جئت إليه وقلت: يا فلان! أما ترحم ولدك؛ يفترش الأرض ويلتحف السماء!! أنت تأكل وتشرب.. والمسكين يبيت طاويًا، ويصبح جائعًا، أما تذكره إذا رفعت كسرة الخبز إلى فمك.. أما تذكر مشيه في حرِّ الشمس.. أما تذكر لما كنت تحمله صغيرًا.. وتضمه إلى صدرك.. وتشمه وتقبله.

أيرضيك أن يستجدي الناس وأبوه حي!!.. تجد أن عاطفة الأب تهيج بهذا الكلام.. ويقترب أكثر من نقطة الالتقاء..

وإن كان أبوه بخيلًا محبًّا للمال، **قلت له:** يا فلان، انتبه لا تورط نفسك.. أرجع الولد تحت نظرك وتصرفك.. أخشى أن يسرق أو يعتدي.. فتلزمك المحكمة بسداد ما أخذ.. وإصلاح ما خرب.. فأنت أبوه على كل حال.

انتبه.. ستجد أن الأب البخيل سيبدأ يعيد موازينه من جديد.. وإن كان

obeikandl.com

كلامك موجهًا إلى الابن.. وكان جشعًا محبًّا للمال.

قلت له: يا فلان.. لن ينفعك إلا أبوك.. غدًا ستحتاج أن تتزوج.. من يسدد مهرك؟ لو تعطلت سيارتك من يصلحها؟ لو مرضت.. من سيحاسب المستشفى؟ إخوانك يستفيدون كما شاءوا.. مصروف.. هدايا.. وأنت جالس هكذا.. ما يضرك أن تصلح ذلك كله بقبلة تطبعها على جبين أبيك.. أو كلمة أسف تهمس بها في أذنه.

وكذلك لو دخلت للإصلاح بين زوجة وزوجها.. فعلت مثل ذلك.. وفتحت باب كل واحد منهما بالمفتاح المناسب.

ومثله لو أردت إجازة من مديرك في العمل.. وعرفت أنه لا يلتفت إلى العواطف ولا الأمور الاجتماعية. وإنما عمل (وبس!).

فقلت له: أحتاج إلى إجازة ثلاثة أيام أجدد فيها نشاطي.. وأستعيد حيويتي.. أشعر أن إنتاجيتي مع ضغط العمل تنحدر تدريجيًا.. أعطني فرصة لإراحة (رأسي) فقط ثلاثة أيام.. لأعود أنشط وأقدر.

وإن كان اجتماعيًّا.. تلحظ من خلال تعاملاته.. أنه حريص على الأسرة والعائلة. **قلت له:** أريد إجازة لأرى والدي.. أولادي.. أشعر أنهم في واد وأنا في واد آخر.. إلى غير ذلك.

أتقن هذه المهارة.. وستسمع الناس غدًا يقولون: ما رأينا أبرع من فلان في القدرة على الإقناع..!!

نتيجة

كل إنسان له مفتاح ومعرفة طبيعة الإنسان تدلك على معرفة مفتاحه المناسب.

obeikandl.com

مراعاة النفسيات

تتقلب أمزجة الناس في حياتهم بين حزن وفرح.. وصحة ومرض.. وغنى وفقر.. واستقرار واضطراب.. وبالتالي يتنوع تقبلهم لبعض الأنواع من التعاملات أو ردهم لها بحسب حالتهم الشعورية وقت التعامل.. فقد يقبل منك النكتة والطرفة ويتقبل المزاح في وقت استقراره وراحة باله.. لكنه لا يتقبل ذلك في وقت حزنه.. فمن غير المناسب أن تطلق ضحكة مدوية في عزاء..!! لكنها تحتمل منك في نزهة برية.. وهذا أمر مقرر عند جميع العقلاء، وليس هو المقصود بحديثي هنا.. إنما المقصود هو مراعاة النفسيات والمشاعر الشخصية عند الحديث مع الناس أو التصرف معهم.

افرض أن امرأة طلقها زوجها، وليس لها أب ولا أم.. قد ماتا.. وجعلت تجمع أغراضها لتعيش مع أخيها وزوجته.

فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارتها في الضحى زائرة.. فرحبت المطلقة بها.. ووضعت لها القهوة والشاي.. فجعلت الزائرة تبحث عن أحاديث لتؤانسها.. فسألتها المطلقة: بالأمس رأيتكم خارجين من المنزل.

فقالت الجارة: أي والله.. أبو فلان – تعني زوجها – أصر على أن نتعشى خارج البيت فذهبت معه.. ثم مرَّ في السوق، واشترى لي فستانًا لعرس أختي.. ثم وقف عند محل ذهب ونزل واشترى لي سوارًا ألبسه في العرس. ولما رجعنا إلى البيت رأى الأولاد في ملل فوعدهم آخر الأسبوع أن يسافر بهم.. والمطلقة المسكينة تستمع إلى ذلك، وتتخيل حالها بعد قليل في بيت زوجة أخيها!!

السؤال: هل يناسب إثارة هذا النوع من الأحاديث مع امرأة فشلت في مشروع الزواج؟! هل تظن أن هذه المطلقة ستزداد محبة لهذه الجارة؟ ورغبة في مجالستها دائمًا؟ وفرحًا بزيارتها لها؟ نتفق جميعًا على جواب واحد نصرخ به قائلين: لا.. بل سيمتلئ قلبها حقدًا وقهرًا.

إذا ما الحل؟ هل تكذب عليها؟لا.. ولكن تتكلم باختصار.. كأن تقول:

والله كان عندنا بعض الأشغال قضيناها.. ثم تصرف الكلام إلى موضوع آخر تصبرها به على كربتها.

أو افرض.. أن صديقين اختبرا نهاية المرحلة الثانوية.. فنجح أحدهما وتخرج بتفوق.. والثاني رسب في عدد من المواد.. أو تخرج بنسبة ضعيفة لا تؤهله للقبول في شيء من الجامعات.. فهل ترى من المناسب عندما يزور المتفوق صاحبه أن يسهب في الحديث حول الجامعات التي تم قبوله فيها.. والميزات التي ستمنح له..؟

فطعًا جوابنا جميعًا: لا.. إذا ما الحل؟

الحل أن يذكر له عموميات يخفف بها عنه.. كأن يشتكي من كثرة الزحام في الجامعات.. وقلة القبول.. وخوف كثير من المتقدمين إليها من عدم القبول.. حتى يخفف عن صاحبه مصابه.. فيرغب عند ذلك في مجالسته أكثر.. ويحبه ويأنس بقربه.. ويشعر أنه قريب من قلبه.

وقل مثل ذلك لو التقى شابان أحدهما أبوه كريم يغدق عليه الأموال.. والآخر أبوه بخيل لا يكاد يعطيه ما يكفيه.. فمن غير المناسب أن يتحدث ابن الكريم بإغداق أبيه عليه.. وكثرة المال لديه.. و.. لأن هذا النوع من الكلام يضيق به صدر صديقه.. ويذكره بمأساته مع أبيه.. ويستثقل الجلوس مع هذا

الصديق ويشعر ببعده عنه في همه.

لذلك نبَّه النبي ﷺ إلى مراعاة مشاعر الآخرين ونفسياتهم.. فقال: «**لا تطيلوا النظر إلى المجذوم**»[1].. والمجذوم هو المصاب بمرض ظاهر في جلده قد جعله مشوهًا في منظره..

فمن غير المناسب أنه إذا مرَّ بقوم أن يطيلوا النظر إلى جلده.. لأن هذا يذكره بمصيبته فيحزن.

وفي موقف غاية في المراعاة واللطف يتعامل ﷺ مع والد أبي بكر رضي الله عنه.. فإنه ﷺ لما أقبل بجيوش المسلمين إلى مكة لفتحها، **قال** أبو قحافة أبو أبي بكر رضي الله عنه، وكان شيخًا كبيرًا أعمى، قال لابنة له من أصغر ولده: أي بنية.. أظهري بي على جبل أبي قبيس لأنظر صدق ما يقولون.. هل جاء محمد؟ فأشرفت به ابنته فوق الجبل.. فقال: أي بنية ماذا ترين؟ **قالت**: أرى سوادًا مجتمعًا مقبلًا. **قال**: تلك الخيل. **قالت**: وأرى رجلًا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلًا ومدبرًا. **قال**: أي بنية ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها.

ثم قالت: قدم والله يا أبت انتشر السواد. **فقال**: قد والله إذن دفعت الخيل ووصلت مكة.. فأسرعي بي إلى بيتي.. فإنهم يقولون: من دخل داره فهو آمن.

فانحطت الفتاة به مسرعة من الجبل.. فتلقته خيل المسلمين.. قبل أن يصل إلى بيته.. فأقبل أبو بكر إليه، فاحتفى به مرحبًا، ثم أخذ بيده يقوده. حتى أتى به رسول الله ﷺ في المسجد.

فلما رآه رسول الله ﷺ.. فإذا شيخ كبير.. قد ضعف جسمه.. ورقَّ عظمه.. واقتربت منيته.. وإذا أبو بكر رضي الله عنه ينظر إلى أبيه. وقد فارقه منذ سنين.

---

(١) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

وانشغل عنه بخدمة هذا الدين.

التفت إلى أبي بكر ﷺ فقال مطيبًا لنفسه.. ومبينًا قدره الرفيع عنده: **هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟!**

كان أبو بكر ﷺ يعلم أنهم في حرب، قائدهم رسول الله ﷺ.. وأن وقته أضيق. وأشغاله أكثر من أن يتفرغ للذهاب لبيت شيخ يدعوه للإسلام.

فقال أبو بكر ﷺ شاكرًا: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك.. من أن تمشي أنت إليه.. فأجلس النبي -عليه الصلاة والسلام- أبا قحافة بين يديه.. بكل لطف وحنان.. ثم مسح على صدره ثم قال: «**أسلم**».

فأشرق وجه أبي قحافة.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. انتفض أبو بكر منتشيًا مسرورًا.. لم تسعه الدنيا فرحًا..

تأمل النبي ﷺ في وجه الشيخ.. فإذا الشيب يكسوه بياضًا.. فقال ﷺ: «**غيروا هذا من شعره ولا تقربوه سوادًا**».

نعم.. كان يراعي النفسيات في تعامله. بل إنه ﷺ لما دخل مكة قسَّم جيشه إلى كتائب.. وأعطى راية إحدى الكتائب إلى الصحابي البطل سعد بن عبادة ﷺ.. كانت الراية مفخرة لمن يحملها.. ليس له فقط بل له ولقومه.. جعل سعد ينظر إلى مكة وسكانها.. فإذا هم الذين حاربوا رسول الله ﷺ.. وضيقوا عليه.. وصدوا عنه الناس.. وإذا هم الذين قتلوا سمية وياسر.. وعذبوا بلالًا وخبابًا.. كانوا يستحقون التأديب فعلًا.. هزَّ سعد الراية.. وهو يقول:

اليـــوم يـــوم الملحمـــة اليـــوم تســـتحل الحرمـــة..

سمعته قريش فشقَّ ذلك عليهم وكبر في أنفسهم وخافوا أن يفنيهم

بقتالهم.. فعارضت امرأة رسول الله ﷺ وهو يسير فشكت إليه خوفهم من سعد وقالت:

يا نبي الهدى إليك لجائي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إله
إن سعدًا يريد قاسمة الظهر بأهل الحجون
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر
فانهينه إنه الأسد الأسود والليث والغُ في الدماء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش بقعة القاع في أكف الإماء
إنه مصلت يريد لها القتل صموت كالحية الصماء

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر. دخله رحمة ورأفة بهم، وأحب ألا يخيبها إذ رغبت إليه، وأحب ألا يغضب سعدًا بأخذ الراية منه بعد أن شرَّفه بها.

فأمر سعدًا فناول الراية لابنه قيس بن سعد.. فدخل بها مكة.. وأبوه سعد يمشي بجانبه.. فرضيت المرأة وقريش لما رأت يد سعد خالية من الراية.. ولم يغضب سعد لأنه بقى قائدًا لكنه أريح من عناء حمل الراية وحملها عنه ابنه.. فما أجمل أن نصيد عدة عصافير بحجر واحد. حاول ألا تفقد أحدًا.. كن ناجحًا واكسب الجميع.. وإن تعارضت مطالبهم.

إنفاق

نحن نتعامل مع القلوب.. لا مع الأبدان.

اهتـــم بالآخريـــن

الناس عمومًا يحبون أن يشعروا بقيمتهم.. لذا تجدهم أحيانًا يقومون ببعض التصرفات ليلفتوا النظر إليهم! وقد يخترعون قصصًا وبطولات لأجل أن يهتم الناس بهم أو يعجبوا بهم أكثر.

لو رجع رجل إلى بيته قادمًا من عمله متعبًا.. فلما دخل صالة البيت رأى أولاده الأربعة كل منهم على حال؛ أكبرهم عمره إحدى عشرة سنة يتابع برنامجًا في التلفاز.. والثاني يأكل طعامًا بين يديه.. والثالث يعبث بألعابه.. والرابع يكتب في دفاتره.

فسلم الأب بصوت مسموع.. السلام عليكم.. فلم يلتفت إليه أحد؛ ذاك منهمك مع برنامجه، والثاني مأخذو بألعابه، والثالث مشغول بطعامه، إلا الرابع.. فإنه لما التفت فرأى أباه.. نفض يده من دفاتره وأقبل مرحبًا ضاحكًا.. وقبَّل يد أبيه ثم رجع إلى دفاتره.

أي هؤلاء الأربعة سيكون أحب إلى الأب؟

أجزم أن جوابنا سيكون واحدًا: أحبهم إليه الرابع.. ليس لأنه يفوقهم جمالًا أو ذكاء.. وإنما لأنه أشعر أباه بأنه إنسان مهم عنده. كلما أظهرت الاهتمام بالناس أكثر. كلما ازدادوا لك حبًّا وتقديرًا.

كان سيد الخلق ﷺ يراعي ذلك في الناس.. يشعر كل إنسان أن قضيته قضيته.. وهمه همه.

قام ﷺ على منبره يومًا يخطب الناس. فدخل رجل من باب المسجد. ونظر إلى رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله.. رجل يسأل عن دينه.. ما

obeikandl.com

يدري ما دينه؟!

فالتفت ﷺ إليه.. فإذا رجل أعرابي.. قد لا يكون مستعدًا أن ينتظر حتى تنتهي الخطبة.. ويتفرغ له النبي ﷺ ليحدثه عن دينه.. وقد يخرج الرجل من المسجد ولا يعود إليه. وقد بلغ الأمر عند الرجل أهمية عالية.. لدرجة أنه يقطع الخطبة ليسأل عن أحكام الدين!! كان ﷺ يفكر من وجهة نظر الآخر لا من وجهة نظره الشخصية فقط.

نزل من على منبره الشريف.. ودعا بكرسي فجلس أمام الرجل.. وجعل يلقنه ويفهمه أحكام الدين.. حتى فهم.. ثم قام من عنده.. ورجع إلى منبره وأكمل خطبتهم.

آآآه ما أعظمه وأحلمه! تربى أصحابه في مدرسته.. فكانوا يظهرون الاهتمام بالآخرين.. والاحتفاء بهم.. ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.

ومن ذلك ما فعله طلحة مع كعب -رضي الله عنهما- كعب بن مالك ﷺ شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورقَّ عظمه.. وكفَّ بصره.. وهو يحكي ذكريات شبابه.. في تخلفه عن غزوة تبوك.

وكانت آخر غزوة غزاها النبي ﷺ آذن النبي ﷺ الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم، وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش حتى بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفًا.. وذلك حين طابت الظلال والثمار، في حرٍّ شديد وسفر بعيد.. وعدو قوي عنيد، كان عدد المسلمين كثيرًا.. ولم تكن أسماؤهم مجموعة في كتاب.

قال كعب ﷺ: وأنا أيسر ما كنت؛ قد جمعت راحلتين.. وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد. وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال.. وطيب الثمار.. فلم أزل

كذلك.. حتى قام رسول الله ﷺ غاديًا بالغداة.

فقلت: أنطلق غدًا إلى السوق فأشتري جهازي.. ثم ألحق بهم.. فانطلقت إلى السوق من الغد.. فعسر عليَّ بعض شأني.. فرجعت.

فقلت: أرجع غدًا إن شاء الله فألحق بهم.. فعسر عليَّ بعض شأني أيضًا.

فقلت: أرجع غدًا إن شاء الله.. فلم أزل كذلك.. حتى مضت الأيام.. وتخلفت عن رسول الله ﷺ.. فجعلت أمشي في الأسواق.. وأطوف بالمدينة.. فلا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق.. أو رجلًا قد عذره الله.

نعم تخلف كعب في المدينة، أما رسول الله ﷺ فقد مضى بأصحابه الثلاثين ألفًا، حتى إذا وصل تبوك نظر في وجوه أصحابه.. فإذا هو يفقد رجلًا صالحًا ممن شهدوا بيعة العقبة.

فيقول ﷺ: «ما فعل كعب بن مالك؟!» فقال الرجل: يا رسول الله.. خلفه برداه، والنظر في عطفيه.

فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت.. والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيرًا.. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب: فلمنا قضى النبي ﷺ غزوة تبوك.. وأقبل راجعًا إلى المدينة.. جعلت أتذكر.. بماذا أخرج به من سخطه.. وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. حتى إذا وصل المدينة.. عرفت أني لا أنجو إلا بالصدق.

فدخل النبي ﷺ المدينة. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.. ثم جلس للناس.. فجاءه المخلفون.. فطفقوا يعتذرون إليه.. ويحلفون له.. وكانوا بضعة وثمانين رجلًا.. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم.. واستغفر لهم.. ووكل سرائرهم إلى الله.

وجاءه كعب بن مالك، فلما سلَّم عليه نظر إليه النبي ﷺ.. ثم تبسم تبسم المغضب.. أقبل كعب يمشي إليه ﷺ فلما جلس بين يديه.

فقال له ﷺ: «ما خلفك.. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» يعني: اشتريت دابتك.. **قال:** بلى. **قال: «فما خلفك؟!»**.

فقال كعب: يا رسول الله.. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر.. ولقد أعطيت جدلًا.. ولكني والله لقد علمت.. أني إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عليَّ.. ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ.. ولئن حدثتك حديث صدق.. تجد عليَّ فيه.. إني لأرجو فيه عفو الله عني.. يا رسول الله.. والله ما كان لي من عذر.. والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.. ثم سكت كعب..

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه.. وقال: **«أما هذا.. فقد صدقكم الحديث.. فقم.. حتى يقضي الله فيك»**..

قام كعب يجر خطاه.. وخرج من المسجد.. مهمومًا مكروبًا.. لا يدري ما يقضي الله فيه، فلما رأى قومه ذلك تبعه رجال منهم وأخذوا يلومونه ويقولون: والله ما نعلمك أذنبت ذنبًا قط قبل هذا.. إنك رجل شاعر أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون؟! هلا اعتذرت بعذر يرضى عنك فيه.. ثم يستغفر لك.. فيغفر الله لك.

قال كعب: فلم يزالوا يؤنبونني.. حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي.

فقلت: هل لقي هذا معي من أحد؟ **قالوا:** نعم.. رجلان قالا مثل ما قلت.. فقيل لهما مثل ما قيل لك. **قلت:** من هما؟ **قالوا:** مرارة بن الربيع.. وهلال بن أمية. فإذا هما رجلان صالحان قد شهدا بدرًا.. لي فيهما أسوة.

فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبدًا.. ولا أكذب نفسي.

ثم مضى كعب ﷺ يسير حزينًا.. كسير النفس.. وقعد في بيته.. فلم يمض وقت.. حتى نهى النبي ﷺ الناس عن كلام كعب وصاحبيه.

قال كعب: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمني أحد، وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف، وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف، فأما صاحباي فجلسا في بيوتهما يبكيان. جعلا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان رءوسهما ويتعبدان كأنهما الرهبان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم.. فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد.

وآتي المسجد فأدخل.. وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه.. فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام على أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه. فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ. وإذا التفت نحوه.. أعرض عني.

ومضت على كعب الأيام.. والآلام تلد الآلام.. وهو الرجل الشريف في قومه.. بل هو من أبلغ الشعراء. عرفه الملوك والأمراء. وسارت أشعاره عند العظماء حتى تمنوا لقياه.

ثم هو اليوم في المدينة بين قومه. لا أحد يكلمه ولا ينظر إليه، حتى إذا اشتدت عليه الغربة. وضاقت عليه الكربة. نزل به امتحان آخر: فبينما هو يطوف في السوق يومًا.. إذا رجل نصراني جاء من الشام.. فإذا هو يقول: من يدلني على كعب بن مالك.؟

فطفق الناس يشيرون له إلى كعب.. فأتاه.. فناوله صحيفة من ملك

غسان.. عجبًا!! من ملك غسان.!! إذن قد وصل خبره إلى بلاد الشام واهتمم به ملك الغساسنة.. عجبًا!! فماذا يريد الملك؟!!

فتح كعب الرسالة فإذا فيها: «أما بعد.. يا كعب بن مالك.. إنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك. ولست بدار مضيعة ولا هوان. فالحق بنا نواسك».. فلما أتم قراءة الرسالة.. قال ﷺ: إنا لله.. قد طمع فيَّ أهل الكفر!! هذا أيضًا من البلاء والشر.

ثم مضى بالرسالة فورًا إلى التنور.. فأشعله ثم أحرقها فيه.. ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك.. نعم فتح له باب إلى بلاط الملوك، وقصور العظماء، يدعونه إلى الكرامة والصحبة. والمدينة من حوله تتجهمه والوجوه تعبس في وجهه؛ يسلم فلا يرد عليه السلام ويسأل فلا يسمع الجواب ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار ولم يفلح الشيطان في زعزعته أو تعبيده لشهوته، ألقى الرسالة في النار.. وأحرقها.. ومضت الأيام تتلوها الأيام.. وانقضى شهر كامل.. وكعب على هذه الحال.. والحصار يشتد خناقه والضيق يزداد ثقله، فلا الرسول ﷺ يُمضي. ولا الوحي بالحكم يقضي.

فلما اكتملت أربعون يومًا.. فإذا رسول من النبي ﷺ يأتي إلى كعب فيطرق عليه الباب.. فيخرج كعب إليه.. لعله جاء بالفرج.. فإذا الرسول يقول له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك.

قال: أطلقها.. أم ماذا؟ **قال**: لا.. ولكن اعتزلها ولا تقربها.

فدخل كعب على امرأته وقال: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

وأرسل النبي ﷺ إلى صاحبي كعب بمثل ذلك، فجاءت امرأة هلال بن

أمية.. فقالت: يا رسول الله.. إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف.. فهل تأذن لي أن أخدمه..؟

قال: «**نعم.. ولكن لا يقربنك**». **قالت المرأة:** يا نبي الله.. والله ما به من حركة لشيء. ما زال مكتئبًا. يبكي الليل والنهار. منذ كان من أمره ما كان.

ومرت الأيام ثقيلة على كعب. واشتدت الجفوة عليه. حتى صار يراجع إيمانه، يكلم المسلمين ولا يكلمونه ويسلم على رسول الله ﷺ فلا يسمع رد السلام فإلى أين يذهب..!! ومن يستشير؟!

قال كعب رضي الله عنه: فلما طال عليَّ البلاء.. ذهبت إلى أبي قتادة.. وهو ابن عمي.. وأحب الناس إليَّ.. فإذا هو في حائط بستانه.. فتسورت الجدار عليه.. ودخلت فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام.

فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ **فسكت.. فقلت:** يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ **فسكت.. فقلت:** أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ **فقال:** الله ورسوله أعلم.

سمع كعب هذا الجواب.. من ابن عمه وأحب الناس إليه.. لا يدري أهو مؤمن أم لا؟ فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه.. وفاضت عيناه بالدموع.. ثم اقتحم الحائط خارجًا.. وذهب إلى منزله.. وجلس فيه.. يقلب طرفه بين جدرانه.. لا زوجة تجالسه.. ولا قريب يؤانسه.. وقد مضت عليهم خمسون ليلة.. من حين نهى النبي ﷺ الناس عن كلامهم.

وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي ﷺ في ثلث الليل.. وكان ﷺ في بيت أم سلمة.. فتلا الآيات.. فقالت أم سلمة -رضي الله عنها: يا نبي الله.. ألا نبشر كعب بن مالك.

قال: «إذًا يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة».

فلما صلى النبي ﷺ الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم.. فانطلق الناس يبشرونهم. **قال كعب:** وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا.

فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت على نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت.. وما من شيء أهم إليَّ من أن أموت..فلا يصلي عليَّ رسول الله ﷺ.. أو يموت.. فأكون من الناس بتلك المنزلة.. فلا يكلمني أحد منهم.. ولا يصلي عليَّ.

فبينما أنا على ذلك.. إذا سمعت صوت صارخ.. على جبل سلع بأعلى صوته يقول: يا كعب بن مالك! أبشر. فخررت ساجدًا.. وعرفت أن قد جاء فرج من الله، وأقبل إلى رجل على فرس.. والآخر صاح من فوق جبل.. وكان الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني.. نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه.. والله ما أملك غيرهما.. واستعرت ثوبين.. فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ.. فتلقاني الناس فوجًا.. فوجًا.

يهنئوني بالتوبة.. يقولون: ليهنك توبة الله عليك.. حتى دخلت المسجد.. فإذا رسول الله ﷺ جالس بين أصحابه، فلما رأوني والله ما قام منهم إلى إلا طلحة بن عبيد الله.. قام فاعتنقني وهنأني.. ثم رجع إلى مجلسه.. فوالله ما أنساها لطلحة.

فمشيت حتى وقفت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه.. وهو يبرق وجهه من السرور.. وكان إذا سُر استنار وجهه.. حتى كأنه قطعة قمر. **فلما رآني قال: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك».** **قلت:** أمن عندك يا

رسول الله.. أم من عند الله؟ **قال:** «**لا.. بل من عند الله**».. ثم تلا الآيات.

فجلست بين يديه.. فقلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله.. وإلى رسوله. **فقال:** «**أمسك عليك بعض مالك.. فهو خير لك**».

فقلت: يا رسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت.. نعم، تاب الله على كعب وصاحبيه.. وأنزل في ذلك قرآنًا يتلى.

قال الله ﷻ: ﴿**لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

والشاهد من هذه القصة.. أن طلحة ﷺ لما رأى كعبًا قام إليه واعتنقه وهنَّأه.. فزادت محبة كعب له. حتى كان يقول بعد موت طلحة وهو يحكي القصة بعدها بسنين: فوالله لا أنساها لطلحة.. وماذا فعل طلحة حتى يأسر قلب كعب؟ فعل مهارة رائدة.. اهتم به.. شاركه فرحته.. فصار له عنده حظوة.

الاهتمام بالناس ومشاركتهم في مشاعرهم يأسر قلوبهم.. لو كنت في زحمة الامتحانات. ووصلت إلى هاتفك المحمول رسالة مكتوب فيها.. بشرني عن امتحاناتك، والله إن بالي مشغول عليك، وأدعو لك، صديقك إبراهيم. أليس ستزداد محبتك لهذا الصديق؟

بلى.. ولو كان أبوك مريضًا في المستشفى.. فبقيت معه في غرفته، وأنت مشغول البال عليه.. واتصل بك صديق وسألك عنه.

وقال: تحتاج مساعدة؟ نحن في خدمتك.. فشكرته.

ثم في المساء اتصل وقال: إذا الأهل يحتاجون أي شيء أشتريه لهم.. فأخبرني.. فشكرته ودعوت له.. ألا تشعر أن قلبك ينجذب إليه أكثر..؟

بينما لو اتصل بك آخر وقال: فلان.. نحن خارجون إلى نزهة في البحر.. هاه تذهب معنا؟

فقلت: والله والدي مريض ولا أستطيع.

فبدل أن يدعو له ويعتذر أن لم يسأل عن حاله.. قال لك: أدري أنه مريض لكن هو في المستشفى وعنده ممرضون ولن يستفيد من بقائك.. تعال معنا استمتع واسبح و.. قالها وهو يمازحك ضاحكًا وكأن مرض والدك لا يعنيه. كيف ستكون نظرتك إليه؟

بلا شكٍّ أن قدره في قلبك ينخفض لأنه لم يهتم بهمومك.

من أحرج ما وقع لي من مواقف أني كنت مسافرًا إلى جدة لعدة أيام.. كنت مشغولًا جدًّا.. وصلتني رسالة خلالها على هاتفي من أخي سعود كتب فيها: أحسن الله عزاءك في ابن عمنا فلان توفي في ألمانيا.. اتصلت بأخي فأخبرني أن ابن عمنا هذا – وهو شيخ كبير – ذهب قبل يومين لعلاج القلب في ألمانيا، وتوفي أثناء إجراء العملية.. وأن جثمانه سيصل قريبًا إلى مطار الرياض.. دعوت له وترحمت عليه.. وأنهيت المكالمة.. بعدها بيومين انتهت أعمالي في جدة، وذهبت إلى المطار انتظر وقت إقلاع رحلتي للرياض.. في هذه الأثناء كان يمرُّ بي عدد من الشباب فإذا رأوني عرفوني وأقبلوا يسلمون،

obeikandl.com

وكانوا أحيانًا من الشباب المراهقين لهم قصات شعر غريبة.. ومع ذلك كنت أمازحهم، وأطلق التعليقات عليهم تحببًا وتلطفًا.

انشغلت بمكالمة هاتفية.. فلما أنهيتها فإذا شاب يلبس بنطالًا وقميصًا.. يراني فيقبل مسلمًا مصافحًا.. رحبت به وقلت مازحًا: ما هذه الأناقة.. أنت اليوم كأنك عريس.. ونحو هذه العبارات.

سكت الشابُّ قليلًا ثم قال: ما عرفتني.. أنا فلان.. الآن وصلت من ألمانيا معي جثمان أبي.. وأنا متوجه إلى الرياض الآن على أقرب رحلة.

في الحقيقة.. كأنما صبَّ عليَّ برميل ماء بارد.. صرت محرجًا جدًّا أبوه مات.. وجثمانه معه في الطائرة، وأنا أمازحه وأضحك.. إن هذا لشيء عجاب!!

سكت قليلًا ثم قلت: آسف.. والله ما انتبهت.. فأنا هنا أيام.. فأحسن الله عزاءك وغفر لوالدك. وإن كنت في الحقيقة معذورًا في عدم انتباهي إلى شخصه.. فقد كنت لا أقابله إلا قليلًا.. وأراه بثوبه وغترته، فلما لبس البنطال وجاءني فجأة في زحمة شباب من جدة.. لم يقع في نفسي أنه فلان.. فمن الاهتمام بالناس مشاركتهم في مشاعرهم وإشعارهم أن همهم هو همك.. وأنك تحبُّ الخير لهم.

ومن هذا المنطلق تجد أن الشركات المتطورة يكون عندها إدارة للعلاقات العامة.. مهمتها إرسال التهاني والتبريكات في المناسبات.. وتقديم الهدايا ونحو ذلك. الناس كلما أشعرتهم بقيمتهم، وأظهرت الاهتمام بهم ملكت قلوبهم وأحبوك.

خذ أمثلة سريعة من الواقع: لو دخل شخص إلى مكان مليء بالناس فلم

يجد مكانًا يجلس فيه فتفسحت قليلًا.. وأوسعت له مكانًا وقلت: تفضل يا فلان.. تعال هنا.. لشعر باهتمامك وأحبك.. أو لو كنت في حفل عشاء.. وأقبل يحمل طعامه يتلفت يبحث عن طاولة فيها مكان فارغ.. فجهزت له كرسيًا وقلت: حياك الله يا فلان.. تفضل هنا.. لشعر باهتمامك أيضًا.

عمومًا أشعر الناس بقيمتهم.. يحبوك..

كان رسول الله ﷺ يحرص على ذلك أيما حرص.. انظر إليه وقد قام يخطب على منبره يوم جمعة.. وفجأة فإذا بأعرابي يدخل إلى المسجد ويتخطى الصفوف.. وينظر إلى رسول الله ﷺ ويصيح قائلًا: يا رسول الله رجل لا يدري ما دينه! فعلِّمه دينه.. فنزل النبي ﷺ من منبره.. وتوجه إلى الرجل، وطلب كرسيًا فجلس عليه.. ثم جعل يتحدث مع الرجل، ويشرح له الدين إلى أن فهم. ثم عاد إلى منبره.. قمة الاهتمام بالناس.. ومن يدري ربما لو أهمله لخرج الرجل وبقي جاهلًا بدينه إلى أن يموت.

ولو نظرت في شمائله ﷺ لوجدت من بينها أنه كان إذا صافحه أحد لم ينزع ﷺ يده من يد المصافح.. حتى ينزع ذلك يده أولًا.

وكان ﷺ إذا كلمه أحد التفت إليه جميعًا.. أي التفت بوجهه وجسمه إليه يستمع وينصت.

نجربة

الناس كلما أشعرتهم بقيمتهم وأظهرت الاهتمام بهم.

ملكت قلوبهم.. وأحبوك.

أشعرهم أنك تحبُّ الخير لهم

كلما كان قلبك مملوءًا بالمحبة والنصح للآخرين.. لكما صرت صادقًا في مهاراتك في التعامل معهم وكلما أحس الناس بحبك لهم.. ازدادوا هم أيضًا لك محبةً وقبولًا.

كانت إحدى الطبيبات تمتلئ عيادتها الخاصة دائمًا بالمراجعات.. وكانت المريضات يرغبن في المجيء إليها دائمًا، وكل واحدة تشعر أنها صديقة خاصة لهذه الطبيبة.. كانت هذه الطبيبة تمارس مهارات متعددة تسحر بها قلوب الآخرين.

من ذلك.. أنها اتفقت مع السكرتيرة أنها إذا اتصلت إحدى المريضات تريد أن تتحدث مع الطبيبة أو تسألها عن شيء يخص المرض.. فإن السكرتيرة تسألها عن اسمها.. وترحب بها.. ثم تطلب منها التكرم بالاتصال بعد خمس دقائق.

ثم تأخذ السكرتيرة الملف الخاص بهذه المريضة.. وتناوله للطبيبة.. فتقرأ الطبيبة معلومات المريضة.. وتنظر إلى بطاقتها الخاصة.. ومعلوماتها.. الكاملة بما فيها وظيفتها وأسماء أولادها.. فإذا اتصلت المريضة.. رحبت بها الطبيبة.. وسألتها عن مرضها.. وعن فلان ولدها الصغير.. وأخبار وظيفتها.. و...

فتشعر المريضة أن هذه الطبيبة تحبها جدًّا لدرجة أنها تحفظ أسماء أولادها وتتذكر مرضها.. ولم تنس مكان عملها.. فترغب في المجيء إليها دائمًا.

أرأيت أن امتلاك القلوب وأسرها سهل جدًّا.. ولا بأس أن تعبر عن محبتك للآخرين بكل صراحة.. سواء كانوا أبًا أو أمًّا.. أو زوجة أو أبناء.. أو

obeikandl.com

زملاء وجيران.. لا تكتم مشاعرك نحوهم.. قل لمن تحبه: أنا أحبك.. أنت غالٍ إلى قلبي.. حتى لو كان عاصيًا قل له: إنك أحب إليَّ من أناس كثيرين.. ولم تكذب فهو أحب إليك من ملايين اليهود.. أليس كذلك.. كن ذكيًّا.

أذكر أني ذهبت مرة لأداء العمرة.. وكنت خلال الطواف والسعي أدعو للمسلمين جميعًا.. بالحفظ والنصر والتمكين.. وربما قلت: اللهم اغفر لي، واغفر لأحبابي وأصحابي.. وبعد انتهائي من شعائرها.. حمدت الله على التيسير.

ثم اكتريت فندقًا لأبيت فيه.. فلما وضعت رأسي على وسادتي كتبت رسالة عبر الهاتف المحمول أقول فيها: «الآن أنهيت العمرة، وتذكرت أحبابي، وأنت منهم؛ فلم أنساك من الدعاء الله يحفظك ويوفقك».. انتهت الرسالة.

أرسلتها إلى الأسماء المخزنة في ذاكرة الهاتف.. كانت خمسمائة اسم.. لم أكن أتصور التأثير العجيب لهذه الرسالة في قلوب الآخرين.

منهم من أرسل إلي: والله إني أبكي، وأنا أقرأ رسالتك.. أشكرك أنك ذكرتني بدعائك.

وآخر كتب: والله يا أبا عبد الرحمن ما أدري بم أرد عليك! ولكن جزاك الله خيرًا.

والثالث كتب: أسأل الله أن يستجيب دعاءك.. ونحن والله لا ننساك.

نحن في الحقيقة نحتاج بين الفينة والأخرى أن نذكر الناس بأننا نحبهم.. وأن كثرة مشاغل الدنيا لم تنسنا إياهم.. ولا بأس أن يكون ذلك بمثل هذه الرسائل.. يمكن أن تكتب إلى أحبابكم: دعوت لكم بين الأذان والإقامة.. أو في ساعة الجمعة الأخيرة.. وإذا كانت نيتك صالحة فلن يكون في هذا إظهار

للعمل أو رياء.. وإنما زيادة ألفة ومحبة بين المسلمين.

أذكر أني ألقيت محاضرة في مخيم دعوي صيفي في مدينة الطائف.. في جبال الشفا، وهي متنزه يجتمع فيه أعداد كبيرة من الشباب.. كان أكثر الحاضرين هم من الشباب الذين يظهر عليهم الخير والصلاح.. أما الشباب الآخرون فقد بقوا في أطراف المتنزهات ما بين لهو وطرب.

انتهت المحاضرة.. أقبل جمع من الشباب يسلمون.. كان من بينهم شاب له قصة شعر غريبة، ويلبس بنطال جينز ضيق.. أقبل يصافح ويشكر.. فسلمت عليه بحرارة.. وشكرته على حضوره وهززت يده وقلت: وجهك وجه داعية.. تبسم وانصرف.. بعدها بأسبوعين تفاجأت باتصال يقول: هاه ما عرفتني.. يا شيخ أنا الذي قلت لي وجهك وجه داعية.. والله لأصبحن داعية إن شاء الله.. ثم صار يشرح لي مشاعره بعد تلك الكلمات، أرأيت كيف يتأثر الناس بصدق العبارة.. والمحبة..!

أما رسول الله ﷺ؛ فقد كان يأسر قلوب الناس بروعة أخلاقه.. وقدرته على إظهار محبته الصادقة لهم.. كان أبو بكر وعمر.. أجل الصحابة.. وكان يتنافسان في الخير دومًا.. وكان أبو بكر يسبق غالبًا.. فإن بكر عمر للصلاة وجد أبا بكر سبقه.. وإن أطعم مسكينًا وجد أبا بكر سبقه.. وإن صلى ليلة.. وجد أبا بكر قبله.

وفي يوم أمر النبي ﷺ الناس بالصدقة لسدِّ حاجة نازلة نزلت بالمسلمين.. وافق ذلك الوقت أن عمر عنده سعة من المال.. فقال: اليوم أسبق أبا بكر.. إن سبقته يومًا.. ذهب عمر فجاء بنصف ماله.. فدفعه إلى رسول الله ﷺ.. فما أول كلمة قالها ﷺ لعمر لما رأى المال؟ هل سأله عن مقدار المال؟ أم

سأله عن نوعه ذهب أم فضة؟

لا.. بل لما رأى ﷺ كثرة المال.. تكلم بكلمات يستنتج منها عمر أنه محبوب عند رسول الله ﷺ.. قال لعمر: «**ما أبقيت لأهلك يا عمر؟**».

قال عمر: يا رسول الله ﷺ أبقيت لهم مثله. ويجلس عمر عند رسول الله ﷺ منتشيًا.. ينتظر أبا بكر.

فيأتي أبو بكر ﷺ بمال كثير فيدفعه إلى رسول الله ﷺ وعمر واقف مكانه.. يرى العطاء ويسمع الحوار.. فإذا بالنبي ﷺ قبل أن يلتفت إلى ما يحتاجه من مال.. يسأل أبا بكر: «**يا أبا بكر.. ما أبقيت لأهلك؟**». نعم.. فهو يحب أبا بكر.. ويحب أهله.. ولا يرضى بالضرر عليه. **قال أبو بكر:** يا رسول الله.. أبقيت لهم الله ورسوله.

أما المال؛ فقد أتيت به جميعًا.. لم يأت بنصفه.. ولا بربعه.. وإنما أتى به كله.. فما كان من عمر ﷺ إلا أن قال: «لا جرم.. لا سابقت أبا بكر أبدًا».

كان الناس يشعرون أنه ﷺ يحبهم.. فكانوا يهيمون به حبًّا.. صلى بهم ﷺ إحدى الصلوات.. فكأنه عجل بصلاته قليلًا حتى بدت أقصر من مثيلاتها.. فلما انقضت الصلاة.. رأى ﷺ تعجب أصحابه.. فقال لهم: «**لعلكم عجبتم من تخفيفي للصلاة؟**». **قالوا:** نعم!. **فقال ﷺ: إني سمعت بكاء صبي فرحمت أمه..!!**

أرأيت كيف يحب الآخرين.. ويظهر لهم هذه المحبة من خلال تعامله.

لستَ وحدكَ

أظهر عواطفك.. كن صريحاً.

أنا أحبك.. فرحت بلقياك.. أنت غالٍ إلى قلبي.

احفظ الأسماء

وهذا من الاهتمام بالناس.. ما أجمل أن تقابل شخصًا ما في موقف عارض.. كلقاء عند بنك.. أو في طائرة.. أو في وليمة عامة.. فتتعرف على اسمه.. ثم تراه في موقف آخر.. فتقبل عليه قائلًا: مرحبًا يا فلان.. لا شكَّ أن ذلك يطبع في قلبه لك محبةً وتقديرًا.

حفظك لاسم الشخص الذي أمامك يشعره باهتمامك به.. فرق بين المدرس الذي يحفظ أسماء طلابه.. والذي لا يحفظ.. قولك للطالب: قم يا فلان.. أحسن من: قم يا طالب.

حتى في الردِّ على الهاتف.. أيهما أحب إليك؟ أن يجيبك من تتصل به بقوله: نعم.. أو ألو.. أو يقول محتفيًا: مرحبًا يا خالد! هلا أبو عبد الله.. بلا شك أن استماعك لاسمك له في القلب رنة قبل الأذن.

جرت العادة بعد المحاضرات العامة أن يزدحم على بعض الشباب يصافحون ويشكرون.. كنت أحرص على ترديد كلمة: ما الاسم الكريم؟ حياك الله من الأخ؟ أقولها لكلِّ واحد أسلم عليه لأبدي له اهتمامي به.. فكان كل واحد يجيبني مستبشرًا: أخوك زياد.. ابنك ياسر.

وأذكر يومًا أنه بعدما سلَّم عدد كبير منهم ومضوا.. عاد أحدهم ليسأل.. فأول ما أقبل على قلت له: حياك الله يا خالد.. فابتهج وقال: ما شاء الله!! تعرف اسمي!! الناس عمومًا يحبون مناداتهم بأسمائهم.

من المعروف أن الموظف العسكري يعلق لوحة صغيرة على صدره فيها اسمه.. فأذكر أني ألقيت محاضرة في إحدى المناطق العسكرية.. فازدحم

openkanal.com

أكثرهم مسلمًا بعد المحاضرة.. كان أحدهم يقترب ويبتعد.. وكأنه يريد السلام لكنه يخجل من مزاحمة الآخرين.

التفت إليه ولمحت لوحة اسمه.. فمددت يدي إليه وقلت: مرحبًا فلان!! فتغير وجهه وتعجب.. ومدَّ يده مصافحًا وهو يبتسم ويقول: هاه!! كيف عرفت اسمي؟

فقلت: يا أخي الذين نحبهم.. لازم نعرف أسماءهم.. فكان لهذا تأثير كبير عليه.

كثير من الناس يقتنع بهذا، ويتمنى لو استطاع حفظ أسماء الآخرين.

أما أسباب عدم حفظ الأسماء.. فهي كثيرة.. منها: عدم الاهتمام بالأشخاص أثناء مقابلتهم.. ومنها.. التشاغل وقت التعارف وعدم التركيز أثناء استماع الاسم.. ومنها.. موقفك تجاه الشخص المقابل.

كاعتقادك بأنك لن تقابله مرة أخرى.. فتقول في نفسك: لا داعي لحفظ الاسم.. أو كان إنسانًا بسيطًا لا يستثير اهتمامك. أو عندما لا تسمع الاسم جيدًا، وتشعر بحرج من طلب إعادة اسمه.. فهذه أسباب تجعل الناس لا يحفظون الأسماء.

أما العلاج لحفظ الأسماء.. فله طرق.. منها: الاقتناع بأهمية تذكر الاسم، واستشعارك أنك بسماعك له ستسأل عنه بعد دقائق.. ومنها.. التركيز على وجه الشخص أثناء الاستماع إلى اسمه.

حاول أن تلاحظ الشخص المقابل وطبيعة حديثه وابتسامته لينطبع في ذاكرتك.. أثناء حديثك معه.. ناده باسمه مرارًا.. صحيح يا فلان..؟ سمعت يا فلان..؟ أنت معي يا فلان..؟ وكرره أكثر من مرة.

obeikandl.com

هذا مهمٌ.. ولو تأملت في القرآن لوجدت الله -جلَّ جلاله- ينادي أنبياءه بأسمائهم..

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾..

﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾..

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾.

باختصار

أشعرني باهتمامك بي

بحفظك اسمي.. ونادني به.. لأحبك.

obeikandl.com

كـــن لماحًـــا

قسم كبير من الأشياء التي نمارسها في الحياة.. نفعلها لأجل الناس لا لأجل أنفسنا.. عندما تدعى لوليمة عرس.. فتلبس أحسن ثيابك.. إنما تفعل ذلك لأجل لفت انتباه الناس وجذب إعجابهم.. لا لأجل لفت انتباه نفسك.

وتفرح إذا لاحظت أنهم أعجبوا بجمال هيئتك.. أو رونق ثيابك.. وعندما تؤثث مجلس ضيوفك.. وتتكلف في تزويقه والعناية به.. إنما تفعل ذلك أيضًا لأجل نظر الناس.. لا لأجل نظر نفسك.. بدليل أنك تعتني بغرفة استقبال الضيوف أكثر من عنايتك بالصالة الداخلية.. أو بحمام أطفالك!!

عندما تدعو أصحابك إلى طعام.. ألا ترى أن زوجتك – وربما أنت – تعتني بترتيب الطعام وتنويعه أكثر من العادة، بلى.. وكلما زادت أهمية هؤلاء الأصحاب.. زادت العناية بالطعام.. وكم تكون سعادتنا غامرة عندما يثني أحد على لباسنا أو ديكورات بيوتنا.. أو لذة طعامنا.. وقد قال ﷺ: «**وليأت إلى الناس الذي يحب أن يأتوا إليه**» أي: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.. كيف..؟!

رأيت على صاحبك ثوبًا جميلًا.. انتبه له.. أثن عليه.. اسمعه كلمات رنانة.. ما شاء الله!! ما هذا الجمال!! اليوم كأنك عريس!!

زارك رجل يومًا فشممت من ثيابه عطرًا فواحًا جميلًا.. أثن عليه.. تفاعل معه.. كن لماحًا.. فهو ما وضع الطيب إلا لأجلك.. ردد عبارات جميلة: ما هذه الروائح.. ما أحسن ذوقك.

دعاك شخص لطعام.. أثن على طعامه.. فإنك تعلم أن أمه أو زوجته أو

أخته وقفت ساعات في المطبخ لأجلك، أو لأجل المدعوين عمومًا.. وأنت منهم.. أو أنه على الأقل تعب في إحضاره من المطعم ومحل الحلويات.. و.. فأسمعه كلمات تجعله يشعر أنك ممتن له بما قدم لك.. وأن تعبه لم يذهب سدى.

دخلت بيت أحد أصدقائك – أو دخلتِ بيت إحدى صديقاتك – فرأيت أثاثًا جميلًا.. فأثن على الأثاث.. والذوق الرفيع.. (لكن انتبه لا تبالغ حتى لا يشعر أنه استهزاء).

حضرت في مجلس عام.. فسمعت (حمد) يتكلم مع الحاضرين بانطلاق.. وقد أحيا المجلس.. وأسعد الحاضرين.. أثن عليه.. خذ بيده إذا قمتم.. قل له: ما شاء الله..!! ما هذه القدرات!! بصراحة ما ملح المجلس إلا حضورك.. جرِّب.. افعل ذلك.. فسوف يحبك.

رأيت موقفًا جميلًا لولد مع أبيه.. قبل يده.. قرب إليه نعليه.. أثن على الولد.. كن لماحًا.. لبس ثوبًا جديدًا.. أثن عليه.. كن لماحًا. زرت أختك.. رأيت عنايتها بأولادها.. كن لماحًا.. أثن عليها.. رأيت عناية صاحبك بأولاده.. أو روعة ترحيبه بضيوفه.

كن جريئًا.. لماحًا.. أثن عليه.. أخرج ما في صدرك من الإعجاب به.. ركبت مع شخص في سيارته.. أو استأجرت تاكسي.. لاحظت نظافة سيارته.. حسن قيادته.. كن لماحًا.. أثن عليه.

قد تقول: هذه أمور عادية.. صحيح لكنها مؤثرة.. لقد جربت ذلك بنفسي.. ومارست هذه المهارة مع أعداد من الناس.. كبارًا وصغارًا.. وعمالًا بسطاء.. ومدرسين.. بل مارستها مع أشخاص يشغلون مناصب عليا..

ورأيت من تأثرهم أعاجيب.. خاصة في الأشياء التي ينتظرها الناس منك.. كيف؟

عريس.. رأيته بعد زواجه بأسبوع.. رجل حصل على شهادة عليا.. شخص سكن بيتا جديدًا.. كلهم بلا شك ينتظرون منك كلمات.. كن كما يتوقعون.

كان عبد المجيد – ابن عمي – شابًّا في المرحلة الثانوية بعد تخرجه طلب مني الذهاب معه للجامعة لتسجيله فيها.. اتصلت به ذات صباح ومررت على بيته بسيارتي ليرافقني للجامعة.

كانت المشاعر تتزاحم في قلبه.. فهو ينتقل إلى مرحلة جديدة.. ويفكر في الكلية التي ستقبله.. أول ما ركب سيارتي شممت رائحة عطره.. كانت رائحة نفاذة جدًّا.. ويبدو أنه قد أفرغ العلبة كلها ذلك اليوم على ملابسه.

بصراحة خنقني بالرائحة.. فتحت النوافذ لأتنفس.. شعرت أن المسكين تكلف في تزويق ثيابه.. وتطييبها.. ثم التفت إليه وابتسمت وقلت: ما شاء الله!!.. إيش هالروائح الحلوة!! أخاف عميد الكلية أول ما يشم هالرائحة الحلوة يصرخ بأعلى صوته يقول: مقبوووووول.

لا تتصور مدى السرور الذي غطى على قلبه.. والبشر الذي طفح على وجهه.. التفت إليَّ.. وقال بحماس: أشكرك يا أبا عبد الرحمن.. أشكرك.. والله إنه عطر غالٍ.. وأضعه دائمًا والناس ما يلاحظونه. ثم بدأ يشمه من طرف غترته، ويقول: بالله عليك: ذوقي حلو..؟!

آآآه.. مرَّ على هذا الموقف أكثر من خمس عشرة سنة.. فقد تخرج عبد المجيد من الجامعة، وتعين في وظيفة منذ سنوات.. إلا أن ذلك الموقف لا يزال

عالقًا في أذنه.. ربما ذكرني به مازحًا في بعض اللقاءات.

نعم.. كن لماحًا.. التحكم بعواطف الناس وكسب محبتهم سهل جدًّا.. لكننا في أحيان كثيرة نغفل عن ممارسة مهارات عادية نكسبهم بها.. ولا تعجب إن قلت إن صاحب الخلق العظيم ﷺ كان يمارس هذه المهارات.. وأحسن منها.

في أول سنى الإسلام.. لما ضيق على المسلمين في دينهم بمكة.. هاجروا إلى المدينة.. تركوا ديارهم وأموالهم.. قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة مهاجرًا.

وكان عبد الرحمن في مكة تاجرًا ممكنًا.. لكنه جاء المدينة فقيرًا معدمًا.. كحلٍّ سريع للمشكلة.. آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.. آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصاري.

كانت نفوسهم سليمة.. وقلوبهم صافية.. فقال سعد لعبد الرحمن: أي أخي.. أنا أكثر أهل المدينة مالًا.. فاقسم مالي نصفين.. فخذ نصفه وأبق لي نصفه.

ثم خشي سعد أن عبد الرحمن يريد أن يتزوج.. ولا يجد زوجة.. فعرض عليه أن يزوجه.

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك.. دلني على السوق..!!

صحيح.. عبد الرحمن ترك ماله في مكة، واستولى عليه الكفار.. لكنه كان ذا عقل راجح.. وخبرة تجارية واسعة.

دله سعد على السوق.. فذهب فاشترى وباع فربح.. يعني اشترى بضاعة بالأجل ثم باعها حالة.. فصار عنده رأس مال تاجر فيه.. وكان يتقن فن البيع

والشراء والمماسكة.. حتى جمع مالًا فتزوج. ثم جاء إلى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- وعليه أثر رَدع زعفران.. أي أثر طيب نساء..!! ليس غريبًا فهو (عريس).

النبيُّ ﷺ طبيب النفوس.. كان لماحًا.. يترقب الفرص لاصطياد القلوب.. أول ما رآه.. انتبه لهذا التغير.. وجعل ينظر إلى أثر الطيب، ويقول لعبد الرحمن: «**مهيم؟**» أي: ما الخبر؟

ابتهج عبد الرحمن.. وقال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار.. عجب النبي ﷺ كيف استطاع أن يتزوج وهو حديث عهد بهجرة..!!

فقال: «**فما أصدقتها؟!**». **فقال:** وزن نواة من ذهب.

فأراد ﷺ أن يزيد من فرحته. فقال:«**أولم ولو بشاة**».. يعني أصنع وليمة لنا بمناسبة زواجك..ثم دعا له النبي ﷺ بالبركة في ماله وتجارته.. فحلت البركة عليه.

قال عبد الرحمن وهو يصف كسبه وتجارته: فلقد رأيتني ولو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة.

وكان ﷺ لماحًا حتى مع الضعفاء والمساكين.. يشعرهم بقيمتهم.. يجعلهم يحسون أنه منتبه لهم. وأنهم مهمون عنده وأنه يقدر لهم أعمالهم التي يقومون بها مهما كانت متواضعة.. فإذا افتقدهم ذكرهم بالخير.. وتلمح أعمالهم.. فتشجع الآخرون أن يفعلوا كفعلهم.

كان في المدينة امرأة سوداء مؤمنة صالحة كانت تكنس المسجد.. كان ﷺ يراها أحيانًا.. فيعجب بحرصها.. مرت أيام.. ففقدها رسول الله ﷺ.

فسأل عنها؟ فقالوا: ماتت يا رسول الله. **فقال:** «**أفلا كنتم آذنتموني؟!**».

فصغروا أمرها.. وأنها مسكينة مغمورة لا تستحق أن يخبر عنها رسول الله ﷺ.. وقالوا أيضًا: ماتت بليل.. فكرهنا أن نوقظك.

فحرص ﷺ على أن يصلي عليها.. فعملها وإن رآه الناس صغيرًا؛ فهو عند الله كبير.. ولكن كيف يصلي عليها، وقد ماتت ودفنت؟! **فقال** ﷺ: «**دلوني على قبرها**».. فمشوا معه حتى أوقفوه على قبرها.. فصلى عليها..

ثم قال ﷺ: «**إن هذه القبور.. مملوءة ظلمة على أهلها.. وإن الله** ﷻ **ينورها لهم بصلاتي عليهم**».

فبالله عليك.. ما هو شعور من رأوه ﷺ ينتبه إلى هذا العمل الصغير من امرأة ضعيفة.. كيف سيكون حماسهم للقيام بمثل فعلها وأعظم؟

دعني أهمس في أذنك: نحن في مجتمع لا يقدر أحيانًا مثل هذه المهارات.. فانتبه!! لا يطفئ حماسك فريق من الثقلاء الغلاظ الذين مهما لمحت ما عندهم من لطائف.. وأثنيت عليهم بالكلمات الرقيقة الرنانة.. لم يتأثروا.. أو ردوا على تلطفك بكلمات سمجة ممجوجة.. لا طعم لها.. ولا لون.. ولا رائحة!

ومن لطائف هؤلاء.. أن شابًّا – أعرفه – دعي إلى وليمة كبيرة.. فيها أشخاص مهمون.. مرَّ على السوق في طريقه، ودخل محل عطور، وأظهر أنه سيشتري فجعل الموظف يحتفي به.. ويرش عليه من أنواع العطور ما غلا ثمنه وزكا ريحه.. ليختار من بينها ما يناسبه.

فلما امتلأت ثياب صحابنا طيبًا.. قال للبائع بلطف: أشكرك.. وإن أعجبني شيء منها فقد أعود إليك.

ذهب سريعًا إلى الوليمة متداركًا رائحة العطر قبل أن تزول.. جلس على العشاء بجانب صديقه خالد.. لم يلاحظ خالد الرائحة.. ولم يعلق بكلمة.

فقال له صاحبنا باستغراب: ما تشم رائحة عطر جميلة؟!

قال خالد: لا. **فقال صاحبنا:** أكيد أنفك مسدود..!!

فأجاب خالد فورًا: لو كان أنفي مسدودًا.. ما شممت رائحة عرقك..!!

اعتراف

مهما بلغ الشخص من النجاح

إلا أنه يبقى بشرًا يطرب للثناء.

obeikandl.com

انتبه : كن لماحا للجمال فقط

بعض الناس يتحمس كثيرًا لأن يكون لماحًا.. فلا يكاد يسكت عن الملاحظة والثناء.. لكنهم قالوا قديمًا: الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.. ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

فكن لماحًا للأشياء الجميلة الرائعة.. التي يفرح الشخص برؤية الناس لها.. وينتظر ثناءهم عليها ويطرب لسماع ألفاظ الإعجاب بها، أما الأشياء التي يستحي من رؤيتها. أو يخجل من ملاحظتها فحاول أن تتعامى عنها.

مثلًا: دخلت بيت صاحبك فرأيت الكراسي قديمة.. فانتبه من أن تكون من الثقلاء الذين لا يكفون عن تقديم اقتراحات لم تطلب منهم.

انتبه من أن يفرط لسانك بقول: لماذا ما تغير الكراسي؟!.. الثريات نصفها ما يشتغل!! لماذا لا تشتري ثريات جديدة!! دهان الجدار قديم.. لماذا لا تدهنه بألوان جديدة؟! يا أخي! هو لم يطلب منك اقتراحات ولست مهندس ديكور اتفق معك على أن يستفيد من آرائك.. ابق ساكتا.. لعله لا يستطيع تغييرها.. لعله يمر بضائقة مالية.. لعله.. ليس أثقل على الناس ممن يحرجهم بالنظر إلى ما يستحون منه ثم يثيره ويبدأ في التعليق عليه.

ومثل ذلك.. لو كان ثوبه قديمًا.. أو مكيف سيارته متعطلًا قل خيرًا أو أصمت.

ذكروا أن رجلًا زار صاحبًا له فوضع له خبزًا وزيتًا.. فقال الضيف: لو كان مع هذا الخبز زعتر!! فدخل صاحب الدار، وطلب من أهله زعترًا للضيف فلم يجد.

obeikandl.com

فخرج ليشتري ولم يكن معه مال..! فأبى صاحب الدكان أن يبعيه بالأجل.. فرجع وأخذ مطهرته- هي الإناء الذي يضع فيه الماء ليتوضأ منه – فخرج بها ودفعها إلى صاحب الدكان رهنًا حتى إذا لم يسدد قيمة الزعتر يبيع صاحب الدكان المطهرة، ويستوفي الثمن لنفسه.. ثم أخذ الزعتر ورجع به إلى ضيفه.. فأكل.. فلما انتهى الضيف من الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا.. وقنعنا بما آتانا.. فتأوه صاحب الدار تأوه الحزين، وقال: لو قنعك الله بما آتاك ما كانت مطهرتي مرهونة!!

وكذلك لو زرت مريضًا فلا تردد عليه: أوووه.. وجهك أصفر.. عيناك زائغتان.. جلدك يابس.. عجبًا!! هل أنت طبيبه؟ قل خيرًا أو أصمت.

ذكروا أن رجلًا زار مريضًا.. فجلس عنده قليلًا.. ثم سأله عن علته فأخبره المريض بها.. وكانت علة خطيرة.. فصرخ الزائر: آآآ.. هذه العلة أصابت فلانًا صاحبي فمات منها.. وأصابت فلانًا صديق أخي، ولا يزال مقعدًا منها حتى مات.. وأصابت فلانًا جار زوج أختي ومات.. والمريض يستمع إليه ويكاد أن ينفجر، فلما أنهى الزائر كلامه، وأراد الخروج التفت إلى المريض وقال: هاه.. توصيني بشيء؟

قال المريض: نعم.. إذا خرجت فلا ترجع إليَّ.. وإذا زرت مريضًا فلا تذكر عنده الموتى.

وذكروا كذلك أن امرأة عجوزًا مرضت عجوز صديقة لها.. فجعلت هذه العجوز تلتمس من أبنائها واحدًا واحدًا أن يذهبوا بها لتلك المريضة لزيارتها، وهم يتعللون ويعتذرون.. حتى رضى أحد أبنائها على مضض.. وذهب بها بسيارته..

فلما وصل بيت العجوز المريضة نزلت أمه، وجعل ينتظرها في سيارته.. دخلت الأم على المريضة؛ فإذا هي قد تمكن منها المرض.. فسلمت عليها ودعت لها.. فلما مشت خارجة مرت ببنات المريضة، وهن يبكين في صالة البيت.. فقالت بكل براءة: أنا لا يتيسر لي المجيء إليكن كلما أردت.. وأمكم مريضة ويبدو لي أنها ستموت.. فأحسن الله عزاءكم من الآن..!!

فانتبه يا لبيب!! كن لماحًا لما يفرح ويسر.. لا لما يحزن.

مشكلة

إذا اضطررت للمح سيئ

- كوسخ ثوب أو رائحة سيئة-

فأحسن التنبيه.. كن لطيفاً ذكيًّا.

obeikandl.com

لا تتدخل فيما لا يعنيك

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ما أجمل هذه العبارة وأنت تسمعها من الفم الزكي الطاهر.. فم رسول الله ﷺ.. صحيح.. تركه ما لا يعنيه.. كم هم ثقلاء أولئك الذين يزعجونك وبالتدخل فيما لا يعنيهم.. يشغلك إذا رأى ساعتك.. بكم اشتريتها؟؟

فتقول: جاءتني هدية. **فيقول:** هدية!! ممن؟ **فتجيب:** من أحد الأصدقاء. **فيقول:** صديقك في الجامعة أم في الحارة. أم أين؟! **فتقول:** والله.. آآآ.. صديقي في الجامعة. **فيقول:** طيب.. ما المناسبة؟! **فتقول:** آآآ.. يعني.. مناسبة أيام الجامعة. **فيقول:** مناسبة إيش؟!! نجاح.. أم كنتم في رحلة.. أو يمكن.

ويستمر في استجوابه لك على قضية تافهة..!! بالله عليك! ألا تحدثك نفسك أن تصرخ به: لا تتدخل فيما لا يعنيك!!.. وقد يزداد الأمر سوءًا لو أحرجك بالسؤال في مجلس عام فسبب لك إحراجًا.

أذكر أني كنت في مجلس مع عدد من الزملاء. بعد صلاة المغرب رنَّ هاتف أحدهم.. كان جالسًا بجانبي.. أجاب: نعم؟ **زوجته:** ألو.. وينك يا حمار؟! كان صوتها عاليًا لدرجة أني سمعت حوارهما. **قال:** بخير.. الله يسلمك!!.. يبدو أنه كان قد وعدها أن يذهب بها بعد المغرب لبيت أهلها وانشغل بنا.. غضبت الزوجة: الله لا يسلمك.. أنت مبسوط أنك مع أصحابك وأنا أنتظر.. والله أنك ثور!!.

قال: الله يرضى عليك.. أمرك بعد العشاء. لاحظت أن كلامه لا يتوافق مع كلامها.. فأدركت أنه يفعل ذلك لكيلا يحرج نفسه.. انتهت مكالمته.

جعلت ألتفت إلى الحاضرين وأتخيل أن واحدًا منهم سأله: من كلمك؟ وماذا يريد منك؟ ولماذا تغيَّر وجهك بعد المكالمة؟!! لكن الله رحمه لأن أحدًا لم يتدخل فيما لا يعنيه.

ومثله لو زرت مريضًا.. فسألته عن مرضه.. فأجابك بكلمات عامة: الحمد لله.. شيء بسيط.. مرض صغير وانتهى.. أو نحوها من العبارات التي لا تحمل جوابًا صريحًا. فلا تحرجه بالتدقيق عليه: عفوًا.. يعني ما هو المرض بالضبط؟ وضِّح أكثر..!! ماذا تعني..!! ونحو ذلك. عجبًا!! ما الداعي لإحراجه؟

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.. يعني.. تنتظر أن يقول لك: أنا مريض بالبواسير.. أو مصاب بجرح في.. أو.

ما دام أنه أجاب إجابة عامة؛ فلا داعي للتطويل معه.. ولا أعني بهذا عدم سؤال المريض عن مرضه؟ إنما أعني عدم التدقيق في الأسئلة.

ومثله.. الذي ينادي طالبًا أمام الناس في مجلس عام.. ويسأله بصوت عالٍ هاه يا أحمد.. نجحت؟.. فيقول: نعم. **فيسأله:** كم نسبتك؟ كم ترتيبك في الفصل؟ إن كنت صادقًا في اهتمامك به فاسأله على انفراد بينك وبينه.. ثم لا داعي للتدقيق.. كم نسبتك.. لماذا لم تذاكر.. لماذا لم تقبل في الجامعة.. إن كنت مستعدًا لإعانته فقف معه جانبًا وحدثه بما تريد.. أما نشر غسيله أمام الناس.. فلا.

قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

لكن انتبه!! لا تعط الموضوع أكبر من حجمه.

سافرت إلى المدينة النبوية قبل مدة.. كنت مشغولًا بعدد من

المحاضرات.. فاتفقت مع شاب فاضل أن يأخذ ولديّ عبد الرحمن وإبراهيم بعد العصر إلى حلقة تحفيظ أو مركز صيفي ترفيهي.. ويعيدهم بعد العشاء. كان عبد الرحمن في العاشرة من عمره.. خشيت أن يسأله ذلك الشاب من باب الفضول أسئلة لا داعي لها.. ما اسم أمك؟ أين بيتكم؟ كم عدد إخوانك؟ كم يعطيك أبوك من المال؟ فنبهت عبد الرحمن قائلًا: إذا سألك سؤالًا غير مناسب.. فقل له: قال ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».. وكررت عليه الحديث حتى حفظه.. ركب عبد الرحمن وأخوه.. مع الشاب.. كان عبد الرحمن مشدودًا متهيبًا. **قال** الشاب متلطفًا: حياك الله يا عبد الرحمن. **فأجابه بحزم:** الله يحييك. أراد الشاب المسكين أن يلطف الجو.. فقال: الشيخ عنده محاضرة اليوم؟! حاول عبد الرحمن أن يتذكر الحديث فلم تسعفه ذاكرته.. فصرخ قائلًا: لا تتدخل فيما لا يعنيك!!

قال الشاب: لا.. أقصد.. بل حتى أحضر وأستفيد. فظنَّ عبد الرحمن أنه يتذاكى عليه: فأعاد الجواب: لا تتدخل فيما لا يعنيك. **قال الشاب:** عفوًا عبد الرحمن أعني. **فصرخ عبد الرحمن:** لا تتدخل فيما لا يعنيك!! ولم يزال هذا حالهما حتى رجعا!! فأخبرني عبد الرحمن بالقصة مفتخرًا.. فضحكت وفهمته الأمر مرة أخرى.

ورشة عمل

مجاهدة النفس على التحرر من التدخل في شئون الآخرين متعبة في البداية.. لكنها مريحة في النهاية.

كيف تتعامل مع «الملاقيف»[1]

أحيانًا يتناول بعض الناس هاتفك الجوال – بدون استئذان – ويقرأ الرسائل التي فيه.. كان صاحبي في دعوة عامة.. وليمة عشاء عند أحد القضاة.. كل من في المجلس مشايخ فضلاء.

جلس صاحبي بينهم.. يتجاذب أطراف الحديث معهم.. ضايقه وجود هاتفه الجوال في جيبه فأخرجه ووضعه على الطاولة التي بجانبه. كان الشيخ الذي بجانبه متفاعلًا في الحديث معه.

من باب العادة أخذ الشيخ الهاتف الجوال.. رفعه إليه.. فلما نظر إلى الشاشة تغيَّر وجهه.. وأرجعه مكانه.

كتم صاحبي ضحكة مدوية.. لما خرج ركبت معه في سيارته.. وقد وضع هاتفه الجوال بجانبه.. فرفعته إليَّ – كما فعل الشيخ – فلما نظرت إلى الشاشة ضحكت.. بل غرقت في الضحك.

تدري لماذا؟

جرت عادة بعضهم أن يكتب عبارات على شاشة الهاتف.. يكتب اسمه.. أو اذكر الله.. أو غيرها.. أما صاحبي فقد كتب: أرجع الجهاز يا ملقوف.

كثير من الناس من هذا النوع يتدخلون في أمور الآخرين الشخصية.. فمن الطبيعي أن يركب معك في سيارتك ثم يفتح الدرج الذي أمامه.. وينظر

---

(١) ملاقيف: لفظة عامية، جمع: «ملقوف»، وهو المتدخل فيما لا يعنيه.. ويسميه بعضهم حشري متطفل..

obeikandl.com

ما بداخله..!!

وامرأة تفتح حقيبة امرأة أخرى لتأخذ أحمر الشفاة أو ظل العينين.. وقد يتصل بك فيسألك: أين أنت؟ فتقول: طالع مشوار، فيقول: أين..؟ من معك مجموعة من الناس نخالطهم يعاملوننا يمثل هذا الأسلوب.. فكيف نتعامل معهم؟

أهم شيء ألا تفقده.. حاول أن تنجنب المصادمة معه.. حاول ألا (يزعل) منك أحد.. كن ذكيًّا في الخروج من الموقف.. دون أن يحدث بينك وبينه مشكلة.. لا تتساهل بكسب الأعداء أو فقدان الأصدقاء.. مهما كانت الأسباب.

ومن أحسن الأساليب للتعامل مع الطفيليين.. هو إجابة السؤال بسؤال.. أو الانتقال إلى موضوع آخر تمامًا لينسى سؤاله الأول.. فلو سألك مثلًا: كم مرتبك الشهري؟

قل له بلطف وتبسم: لماذا هل وجدت لي وظيفة مغرية؟ **سيقول:** لا.. لكن أريد أن أعرف. قل: المرتبات هذه الأيام مشاكل.. ويبدو أن ذلك بسبب ارتفاع أسعار البترول!!

سيقول: ما دخل البترول؟!

فقل: البترول هو الذي يتحكم في الأسعار.. ألا تلاحظ أن الحروب تقوم لأجله.

سيقول: لا.. ليس صحيحًا. فالحروب لها أسباب أخرى.. والعالم اليوم مليئ بالحروب.. و.. وينسى سؤاله الأول.. (هاه.. ما رأيك؟ ألم تخرج من الموقف بذكاء؟).

obeikandl.com

وكذلك لو سألك عن وظيفتك.. أو أين ستسافر؟!

اسأله: لماذا؟ هل ستسافر معي؟! **سيقول:** لا أدري!! لكن أخبرني. قل: لكن إن سافرت معي.. فالتذاكر عليك.

عندها سيدخل في موضوع التذاكر، وينسى الموضوع الأصلي.. وهكذا.. نستطيع الخروج من مثل هذه المواقف من غير وقوع مشاكل بيننا وبين الآخرين.

وقفة

إذا ابتليت بمتدخل فيما لا يعنيه.. فكن خيرًا منه.

أحسن الخروج من الموقف من غير أن تجرحه.

obeikandl.com

لا تنتقـــد!!

ركب سيارة صاحبه.. فكانت أول كلمة قالها: يااااه!! ما أقدم سيارتك!!

ولما دخل بيته.. رأى الأثاث فقال: أووووه.. ما غيرت أثاثك؟!

ولما رأى أولاده.. قال: ما شاء الله.. حلوين.. لكن لماذا لا تلبسهم ملابس أحسن من هذه؟!

ولما قدمت له زوجته طعامه.. وقد وقفت المسكينة في المطبخ ساعات.. رأى أنواعه فقال: يا الله.. لماذا ما طبخت رز؟ أووه.. الملح قليل! لم أكن أشتهي هذا النوع!! دخل محلًا لبيع الفاكهة.. فإذا المحل مليء بأصناف الفواكه. **فقال:** عندك مانجو؟ **قال** صاحب المحل: لا.. هذه في الصيف فقط. **فقال:** عندك بطيخ؟ **قال:** لا. **فتغير وجهه وقال:** ما عندك شيء.. فلماذا تفتح محلًا! وخرج.. ونسى أن في المحل أكثر من أربعين نوعًا من الفواكه.

نعم.. بعض الناس يزعجك بكثرة انتقاده.. ولا يكاد يعجبه شيء.. فلا يرى في الطعام اللذيذ إلا الشعرة التي سقطت فيه سهوًا.. ولا في الثوب النظيف إلا نقطة الحبر التي سالت عليه خطئًا.. ولا في الكتاب المفيد إلا خطئًا مطبعيًا وقع سهوًا.. فلا يكاد يسلم أحد من انتقاده.. دائم الملاحظات.. يدقق على الكبيرة والصغيرة.

أعرف أحد الناس.. زاملته طويلًا في أيام الثانوية والجامعة.. ولا تزال علاقتنا مستمرة.. إلا أني لا أذكر أنه أثنى على شيء.

أسأله عن كتاب ألفته وقد أثنى عليه أناس كثيرًا وطبع منه مئات الآلاف فيقول ببرود: والله جيد.. ولكن فيه قصة غير مناسبة.. وحجم الخط ما

obeikandl.com

أعجبني.. ونوعية الطباعة أيضًا سيئة.. و.

وأسأله يومًا عن أداء فلان في خطبته.. فلا يكاد يذكر جانبًا مشرقًا.. حتى صار أثقل عليَّ من الجبل.. وصرت لا أسأله أبدًا عن رأيه في شيء لأني أعرفه سلفًا.

قل مثل ذلك فيمن يفترض المثالية في جميع الناس.. فيريد من زوجته أن يكون بيتها نظيفًا ٢٤ ساعة ١٠٠٪، ويريدها أيضًا أن يبقى أطفالها نظيفين متزينين على مدى اليوم.. وإن زاره ضيوف افترض أن تطبخ أحسن الطعام، وإن جالسها افترض أن تحدثه بأجمل الأحاديث.. وكذلك هو مع أولاده.. يريدهم ١٠٠٪ في كل شيء.. ومع زملائه.. ومع كل من يخالطه في الشارع والسوق.. و..

وإن قصر أحد من هؤلاء أكله بلسانه، وأكثر عليه الانتقاد وكرَّر الملاحظات.. حتى يمل الناس منه.. لأنه لا يرى في الصفحة البيضاء إلا الأسود. مَنْ كان هذا حاله عذَّب نفسه في الحقيقة.. وكرهه أقرب الناس إليه، واستثقلوا مجالسته..

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذا ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟!

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا ... رفيقك لن تلق الذي ستعاتبه

سبحان الله!! والله يقول: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**﴾.

قالت أمنا عائشة -رضي الله عنها- وهي تصف حال تعامله ﷺ معهم: «**ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط.. إن اشتهاه أكله وإلا تركه**»[1].

---

(١) متفق عليه.

نعم ما كان يصنع مشكلة من كل شيء.

وقال أنس ﷺ: والله لقد خدمت رسول الله تسع سنين.. ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب على شيئًا قط.. ووالله ما قال لي: أفٌ قط.. هكذا كان.. وهكذا ينبغي أن نكون.

وأنا بذلك لا أدعو إلى ترك النصيحة أو السكوت عن الأخطاء.. ولكن لا تكن مدققًا في كل شيء.. خاصة في الأمور الدنيوية.. تعوَّد أن تمشي الأمور.

لو طرق بابك ضيف فرحبت به وأدخلته غرفة الضيوف، فلما أحضرت الشاي تناول الفنجان.. فلما نظر إلى الشاي بداخله قال: لِمَ لَمْ تملأ الفنجان؟

فقلت: أزيدك؟ **قال**: لا.. لا.. يكفي.

فطلب ماء فأحضرت له كأس ماء فشربه.. فلما انتهى قال: ماؤكم حار.. ثم التفت إلى المكيف وقال: مكيفكم لا يبرد!! وجعل يشتكي الحر.. ثم.. ألا تشعر بثقل هذا الإنسان.. وتتمنى لو يخرج من بيتك ولا يعود.

إذن الناس يكرهون الانتقاد الكثير.. لكن إن احتجت إليه فغلفه بغلاف جميل ثم قدمه للآخرين.. قدمه في صورة اقتراح.. أو بأسلوب غير مباشر.. أو بألفاظ عامة.

كان رسول الله ﷺ إذا لاحظ خطئًا على أحد لم يواجه به، وإنما يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

يعني: إياك أعني واسمعي يا جارة.

في يوم من الدهر أقبل ثلاثة شباب متحمسين إلى المدينة النبوية.. كانوا يريدون معرفة كيفية عبادة النبي ﷺ وصلاته.

سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرِّ.. فأخبرتهم زوجات النبي ﷺ

أنه يصوم أحيانًا ويفطر أحيانًا.. وينام بعضًا من الليل ويصلي بعضه.

فقال بعضهم لبعض: هذا رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه.. ثم اتخذ كل واحد منهم قرارًا..! **فقال أحدهم:** أنا لن أتزوج.. أي سأبقى عزبًا.. متفرغًا للعبادة.**وقال الآخر:** وأنا سأصوم دائمًا.. كل يوم. **وقال الثالث:** وأنا لا أنام الليل.. أي: سأقوم الليل كله.

فبلغ النبي ﷺ ما قالوه.. فقام على منبره.. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **ما بال أقوام!!** – هكذا مبهمًا، لم يقل ما بال فلان وفلان.. **ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا.. لكني أصلي وأنام.. وأصوم وأفطر.. وأتزوج النساء.. فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[1].

وفي يوم آخر.. لاحظ النبي ﷺ أن رجالًا من المصلين معه.. يرفعون أبصارهم إلى السماء في أثناء صلاتهم.. وهذا خطأ فالأصل أن ينظر أحدهم إلى موضع سجوده.

فقال ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم**- فلم ينتهوا عن ذلك واستمروا يفعلونه.. فلم يفضحهم أو يسمهم بأسمائهم- وإنما قال: **لينتهن عن ذلك.. أو لتخطفن أبصارهم**»[2].

وكانت بريرة جارية أمة مملوكة في المدينة.. أرادت أن تعتق من الرق.. فطلبت ذلك من سيدها.. فاشترط عليها مالًا تدفعه إليه.. فجاءت بريرة.. إلى عائشة تلتمس منها أن تعينها بمال.

فقالت عائشة: إن شئت أعطيت أهلك ثمنك.. فتعتقين.. لن يكون

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

obeikandl.com

الولاء لي[1]. فأخبرت الجارية أهلها فأبوا ذلك.. وأرادوا أن يربحوا الأمرين.. ثمن عتقها وولاءها!! فسألت عائشة النبي ﷺ.. فعجب ﷺ من حرصهم على المال.. ومنعهم للمسكينة من الحرية!!

فقال لعائشة: «ابتاعيها فأعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق».. أي: الولاء لك ما دام أنك دفعت المال.. ولا تلتفتي إلى شروطهم فهي ظالمة.

ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «**ما بال أقوام** – ولم يقل: آل فلان – **يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله.. من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله.. فليس له.. وإن اشترط مائة شرط**»[2].

نعم هكذا.. لوِّح بالعصا من بعيد، ولا تضرب بها.

فما أجمل أن تقول لزوجتك المهملة في نظافة بيتها: البارحة تعشينا عند صاحبي فلان.. وكان الجميع يثني على نظافة منزله.. أو تقول لولدك المهمل للصلاة في المسجد: أنا أعجب من فلان ابن جيراننا ما نكاد نفقده في المسجد أبدًا..!! يعني.. إياك أعني واسمعي يا جارة!!

ويحق لك أن تسأل: لماذا يكره الناس الانتقاد؟

فأقول: لأنه يشعرهم بالنقص.. فكلُّ الناس يحبون الكمال.

ذكروا أن رجلًا بسيطًا أراد أن يكون له شيء من التحكم.. فعمد إلى تُرمسي ماء أحدهما أخضر والثاني أحمر، وعبأهما بالماء البارد.. ثم جلس للناس في طريقهم.. وجعل يصيح: ماء بارد مجانًا.

---

(١) الولاء: هو إذا أعتق الشخص عبدًا مملوكًا صار الولاء للمعتق، بمعنى أن المعتق يدخل ضمن ورثة هذا العبد المملوك بعد موته، فيشارك أهل العبد في ورثه.

(٢) متفق عليه.

obeikandl.com

فكان العطشان يقبل عليه، ويتناول الكأس ليصب لنفسه ويشرب.. فإذا رآه صاحبنا قد توجه للترمس الأخضر. **قال له:** لا.. اشرب من الأحمر.. فيشرب من الأحمر.

وإذا أقبل آخر.. وأراد أن يشرب من الأحمر.. قال له: لا.. اشرب من الأخضر.. فإذا اعتراض أحدهم.. وقال: ما الفرق؟!

قال: أنا المسئول عن الماء.. يعجبك هذا النظام أو دبِّر لنفسك ماء.. إنه شعور الإنسان الدائم بالحاجة إلى اعتباره والاهتمام به.

نحلة.. وذباب !!

كن كالنحلة تقع على الطيب وتتجاوز الخبيث.

ولا تك كالذباب يتتبع الجروح!!

obeikandl.com

لا تكن أستاذيًا!!

قارن بين ثلاثة آباء.. رأى كل واحد ولده جالسًا عند التلفاز في أيام الامتحانات.

فقال الأول لولده: يا محمد.. ذاكر دروسك.

وقال الثاني: ماجد.. إذا لم تذاكر دروسك.. فوالله لأضربك.. وأحرمك من المصروف.. و.

أما الثالث فقال: صالح.. لو تذاكر دروسك.. أحسن لك من التلفاز.. صح؟! أيهم أحسن أسلوبًا..؟ لا شكَّ أنه الثالث.. لأنه قدَّم أمره على شكل اقتراح.

وكذلك في التعامل مع زوجتك.. سارة ليتك تعملين شايًا.. هند أتمنى أن أتغدى مبكرًا اليوم.

وكذلك.. عندما يخطئ إنسان.. عالج خطأه بأسلوب يجعله يشعر أن الفكرة فكرته هو.. ولدك يغيب عن الصلاة في المسجد. قل له – مثلًا-: سعد.. أما تريد أن تدخل الجنة.. بلى.. إذن حافظ على صلاتك.

في يوم من الأيام. وفي خيمة أعرابي في الصحراء.. جعلت امرأة تتأوه تلد.. وزوجها عند رأسها ينتظر خروج المولود. اشتد المخاض بالمرأة حتى انتهت شدتها وولدت.. لكنها ولدت غلامًا أسود!! نظر الرجل إلى نفسه.. ونظر إلى امرأته فإذا هما أبيضان.. فعجب كيف صار الغلام أسود!!

أوقع الشيطان في نفسه الوساوس.. لعل هذا الولد من غيرك!! لعلها زنى بها رجل أسود؛ فحملت منه!! لعل. اضطرب الرجل وذهب إلى المدينة

obeikandl.com

النبوية.. حتى دخل على رسول الله ﷺ وعنده أصحابه.. فقال: يا رسول الله.. إن امرأتي ولدت على فراشي غلامًا أسود!! وإنا أهل بيت لم يكن فينا أسود قط!!

نظر النبي ﷺ إليه.. وكان قادرًا على أن يسمعه موعظة حول حسن الظن بالأخرين.. وعدم اتهام امرأته.. لكنه أراد أن يمارس معه في الحل أسلوبًا آخر.. أراد أن يجعل الرجل يحل مشكلته بنفسه.

فبدأ يضرب لهم مثلًا يقرب له الجواب.. فما المثل المناسب له؟

هل يضرب له مثلًا بالأشجار؟ أم بالنخل؟ أم بالفرس والروم؟

نظر إليه ﷺ إذا الرجل عليه آثار البادية.. وإذا هو مضطرب تتزاحم الأفكار في رأسه حول امرأته.

فقال له ﷺ: «هل لك من إبل؟». قال: نعم. **قال: «فما ألوانها؟». قال:** حمر. **قال: «هل فيها أسود؟» قال:** لا. **قال: فيها أورق؟ قال:** نعم. **قال: فأنى كان ذلك؟!**

يعني: ما دام أنها كلها حمر ذكورًا وإناثًا.. وليس فيها أي لون آخر.. فكيف ولدت الناقة الحمراء ولدًا أوق؟!.. يختلف عن لونها ولون الأب (الفحل).

فكر الرجل قليلًا.. ثم قال: عسى أن يكون نزعه عرق.. يعني: قد يكون من أجداده من هو أورق.. فلا زال الشبه باقيًا في السلالة.. فظهر في هذا الولد فقال ﷺ: «**فلعل ابنك هذا نزعه عرق**»[1]. سمع الرجل هذا الجواب.. فكَّر

(١) رواه مسلم وابن ماجه، واللفظ له.

قليلًا فإذا هو جوابه هو.. والفكرة فكرته.. فاقتنع وأيقن.. ومضى إلى امرأته.

وفي يوم آخر.. جلس ﷺ مع أصحابه.. فجعل يحدثهم عن أبواب الخير. وكان مما ذكره.. أن قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**».. أي: وطء أحدكم امرأته له فيه أجر. فعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله.. يأتي أحدنا شهوته.. ويكون له أجر؟! فأجابهم ﷺ بجواب يشعرون به أن الفكرة فكرتهم.. فلا يحتاجون لنقاش لإقناعهم بها.. فقال ﷺ «**أرأيتهم لو وضعها في حرام.. أكان عليه وزر؟**». **قالوا**: نعم. **قال**: «**فكذلك لو وضعها في حلال كان له أجر**».

بل حتى أثناء الحوار مع الآخر.. تدرج معه عند النصح في الأشياء التي أنتما متفقان عليها.

خرج ﷺ إلى مكة معتمرًا في ألف وأربعمائة من أصحابه.. فمنعتهم قريش من دخول مكة.. ووقعت أحداث قصة الحديبية المشهورة.. في آخر الأمر وبعد مشاورات طويلة بين النبي ﷺ وقريش.. اتفقوا على صلح.

كان الذي تولى الاتفاق على بنود الصلح من جانب قريش هو سهيل بن عمرو.. اتفق النبي ﷺ مع سهيل على شروط.. منها:

أن يعود المسلمون أدراجهم إلى المدينة من غير عمرة.

وأن من دخل في الإسلام من أهل مكة وأراد أن يهاجر إلى المدينة؛ فإن المسلمين في المدينة لا يقبلونه.

أما من ارتدّ عن إسلامه وأراد الذهاب إلى المشركين في مكة فإنه يقبل..!! إلى غير ذلك من الشروط التي في ظاهرها أنها هزيمة للمسلمين وإذلال لهم.

كانت قريش في الواقع خائفة من هذا العدد الكبير من المسلمين.. وتعلم

أن المسلمين لو شاءوا لفتحوا مكة.

ولهذا كانت قريش تضطر إلى التلطف والمصانعة.. وكأني بهم.. ما كانوا يحلمون أن يظفروا ولا بربع هذه الشروط.. كان أكثر الصحابة متضايقًا من شروط العقد.. لكن أنَّى لهم أن يعترضوا.. والذي يكتب العقد ويمضيه رجل لا ينطق عن الهوى.

كان عمر متحفزًا.. ينظر يمينًا وشمالًا.. يتمنى لو يستطيع عمل شيء.. فلم يصبر.. وثب عمر فأتى أبا بكر.. وأراد أن يناقشه.

فمن حكمته.. لم يبدأ بالاعتراض.. وإنما بدأ بالأشياء التي هما متفقان عليها.. وجعل يسأل أبا بكر أسئلة جوابها.. بلى.. نعم.. صحيح.

فقال: يا أبا بكر.. أليس برسول الله..؟! **قال:** بلى. **قال:** أولسنا بالمسلمين؟! **قال:** بلى. **قال:** أوليسوا بالمشركين؟! **قال:** بلى. **قال:** أولسنا على الحق؟ **قال:** بلى. **قال:** أوليسوا على الباطل؟ **قال:** بلى. **قال:** فعلام نعطي الدنية في ديننا؟! **فقال أبو بكر:** يا عمر.. أليس هو رسول الله.؟ **قال:** بلى.

قال: فالزم غرزه.. فإني أشهد أنه رسول الله.. أي: كن وراءه تابعًا، لا تخالفه أبدًا.. كما أن غرزات الخيط في الثوب تكون متتابعة.

قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. مضى عمر.. حاول أن يصبر فلم يستطع.. فذهب إلى رسول الله ﷺ. **فقال:** يا رسول الله.. ألست برسول الله؟! **قال:** «**بلى**». **قال:** أولسنا بالمسلمين..؟

قال: «**بلى**». **قال:** أوليسوا بالمشركين..؟ **قال:** «**بلى**». **قال:** فعلام نعطي الدنية في ديننا؟! **فقال** ﷺ: «**أنا عبد الله ورسوله.. لن أخالف أمره.. ولن يضيعني**».

سكت عمر.. ومضى الكتاب.. ورجع المسلمون إلى المدينة.. ومضت الأيام.. ونقضت قريش العهد.. وأقبل رسول الله ﷺ فاتحًا مكة.. مطهرًا البيت الحرام من الأصنام.. وأدرك عمر أنه كان في اعتراضه حينذاك على غير السبيل.

فكان رضي الله عنه **يقول:** ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ.. حتى رجوت أن يكون خيرًا.. فلله در عمر.. ودر رسول الله ﷺ قبله.

كيف نستفيد أكثر من هذه المهارة؟

لو كان ولدك لا يعتني بحفظ القرآن.. وتريده أن يزداد حرصًا.. ابدأ بالأشياء التي أنتما متفقان عليها. ألا تريد أن يحبك الله؟ ألا تريد أن ترتقي في درجات الجنة؟ سيجيبك حتمًا: بلى.

عندها قدِّم النصيحة على شكل اقتراح: إذن فلو أنك شاركت في حلقة تحفيظ القرآن.

وكذلك أنتِ لو رأيت امرأة لا تعتني بحجابها.. ابدئي معها بالأشياء التي أنتما متفقتان عليها.. أنا أعلم أنك مسلمة.. حريصة على الخير.. ستقول: صحيح.. الحمد لله.. وامرأة عفيفة.. وتحبين الله.. ستقول: إي والله.. الحمد لله. عندها قدمي النصيحة على شكل اقتراح: فلو أنك اعتنيت بحجابك أكثر، وحرصت على الستر.

هكذا يمكننا أن نحصل على ما نريد من الناس من غير أن يشعروا.

بارقة

تستطيع أن تأكل العسل دون تحطيم الخلية.

obeikandl.com

أمسك العصا من النصف!!

أشكرك على اختيارك مهنة التدريس.. وقد آتاك الله أسلوبًا حسنًا.. وطلابك يحبونك كثيرًا.. و.. ولكن: أتمنى ألا تتأخر على الدوام صباحًا.

أنت جميلة.. والبيت مرتب.. ولا أنكر أن الأولاد متعبون.. و.. ولكن: أتمنى أن تهتمي بملابسهم أكثر.

هكذا كان أسلوب صالح مع الناس.. يذكر الجوانب المشرقة عند المخطئ ثم ينبهه على أخطائه؛ ليكون عادلًا.

عندما تنتقد حاول أن تذكر جوانب الصواب في المخطئ قبل غيرها، حاول دائمًا أن تشعر الذي أمامك أن نظرتك إليه مشرقة. وأنك عندما تنبه على أخطائه لا يعني ذلك أنه سقط من عينك، أو أنك نسيت حسناته، ولا تذكر إلا سيئاته.

لا.. بل أشعره أن ملاحظاتك عليه تغوص في بحر حسناته.. كان النبي ﷺ محبوبًا بين أصحابه، وكان يمارس أساليب رائعة في التعامل معهم.

وقف مرة بينهم.. فشخص ببصره إلى السماء.. كأنه يفكر أو يترقب شيئًا.. ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس.. حتى لا يقدروا منه على شيء**».. أي: يُعرض الناس عن القرآن وتعلمه.. وعن العلم الشرعي؛ فلا يحرصون عليه ولا يفهمونه، فيختلس منهم، أي: يرفع عنهم، فقام صحابي جليل.. هو زياد بن لبيد الأنصاري وقال بكلِّ حماس: يا رسول الله، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن! فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا.

فنظر إليه النبي ﷺ.. فإذا شاب يتفجر حماسًا وغيرةً على الدين.. فأراد أن

ينبهه على فهمه.

فقال: «ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة».. وهذا ثناء على زياد.. أن يقول له رسول الله ﷺ أمام الناس: «**إنه من فقهاء المدينة**».. هذا ذكر لجوانب الصواب والصفحات المشرقة لزياد..

ثم قال ﷺ: «هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؛ فماذا يغني عنهم؟!»[1].

أي: ليست العبرة يا زياد بوجود القرآن.. وإنما العبرة بقراءته ومعرفة معانيه والعمل بأحكامه.. هكذا كان تعامله رائعًا.

وفي يوم آخر.. يمرُّ ﷺ ببعض قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام.. وكان يختار أحسن العبارات لأجل ترغيبهم في الاستجابة له والدخول في الإسلام.

فمرَّ بقبيلة منهم.. اسمهم: بنو عبد الله.. فدعاهم إلى الله.. وعرض عليهم نفسه.. وجعل يقول لهم: «**يا بني عبد الله.. إن الله قد أحسن اسم أبيكم**».. يعني: لستم ببني عبد العزى.. أو بني عبد اللات.. وإنما أنتم بنو عبد الله.. فليس في اسمكم شرك فادخلوا في الإسلام.

بل كان من براعته ﷺ أنه كان يرسل رسائل غير مباشرة إلى الناس.. يذكر فيها إعجابه بهم.. ومحبته الخير لهم.. فإذا بلغتهم هذه الرسائل عملت فيهم من التأثير أكثر مما تعمله – ربما – الدعوة المباشرة.

كان خالد بن الوليد رضي الله عنه بطلًا.. ولم يكن بطلًا عاديًّا.. بل كان بطلًا

---

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

مغوارًا.. يضرب له ألف حساب.. وكان النبيُّ ﷺ يتشوق لإسلامه.. لكن أنَّى له ذلك.. وخالد ما ترك حربًا ضد المسلمين إلا خاضها.. بل كان هو من أكبر أسباب هزيمة المسلمين في معركة أحد.

قال فيه النبيُّ ﷺ يومًا: «**لو جاءنا لأكرمناه.. وقدَّمناه على غيره**».

فكيف كان تأثير ذلك؟

خذ القصة من أولها.. كان خالد من أشداء الكفار وقادتهم.. لا يكاد يفوت فرصة إلا حارب فيها رسول الله ﷺ أو ترصد له.. فلما أقبل رسول الله ﷺ مع المسلمين إلى الحديبية.. وأرادوا العمرة.

خرج خالد في خيل من المشركين.. فلقوا النبي ﷺ وأصحابه بموضع يقال له: عسفان.. فقام خالد قريبًا منهم يتحين الفرصة ليصيب رسول الله ﷺ برمية سهم أو ضربة سيف.

جعل يترصد ويترقب.. فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر أمامهم.. فهموا أن يهجموا عليهم.. فلم يتيسر لهم.. فكأن النبي ﷺ علم بهم.. فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف.. أي: قسَّم أصحابه إلى فريقين.. فريق يصلي معه وفريق يحرس.. فوقع ذلك من خالد وأصحابه موقعًا.. وقال في نفسه: الرجل ممنوع عنا.. أي: هناك من يحميه ويمنع عنه الأذى!!

ثم ارتحل ﷺ وأصحابه.. وسلكوا طريقًا ذات اليمين، لئلَّا يمروا بخالد وأصحابه.. وصل ﷺ إلى الحديبية.. صالح قريشًا على أن يعتمر في العالم القادم.. ورجع إلى المدينة.

رأى خالد أن قريشًا لا يزال شأنها ينخفض في العرب يومًا بعد يوم.

فقال في نفسه: أي شيء بقي؟ أين أذهب؟

إلى النجاشي؟.. لا.. فقد اتبع محمدًا وأصحابه عنده آمنون.

فأخرج إلى هرقل؟.. لا.. أخرج من ديني إلى نصرانية؟.. أو يهودية؟ وأقيم في عجم؟.

فبينما خالد يفكر في شأنه.. ويتردد.. والأيام والشهور تمضي عليه.. حتى انقضت سنة كاملة.. وجاء موعد عمرة المسلمين.. فأقبلوا إلى المدينة.

دخل ﷺ مكة معتمرًا.. فلم يحتمل خالد رؤية المسلمين محرمين.. فخرج من مكة وغاب أربعة أيام، وهي الأيام التي قضاها النبي ﷺ في مكة.. قضى النبي ﷺ عمرته.. وجعل ينظر في طرقات مكة وبيوتها.. ويستعيد الذكريات.

تذكر البطل خالد بن الوليد.. فالتفت إلى الوليد بن الوليد.. وهو أخو خالد.. وكان الوليد مسلمًا قد دخل مع النبي ﷺ معتمرًا.

وأراد ﷺ أن يبعث إلى خالد رسالة غير مباشرة.. يرغبه فيها بالدخول في الإسلام. **قال ﷺ للوليد: «أين خالد؟»**.

فوجئ الوليد بالسؤال.. وقال: يأتي الله به يا رسول الله.

فقال ﷺ: «مثله يجهل الإسلام!! ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين.. كان خيرًا له».

ثم قال: «ولو جاءنا لأكرمناه.. وقدَّمناه على غيره».

استبشر الوليد.. وجعل يطلب خالدًا ويبحث عنه في مكة فلم يجده.. فلما عزموا على الرجوع للمدينة كتب الوليد كتابًا إلى أخيه: بسم الله الرحمن الرحيم.. أما بعد.. فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام.. وعقلك عقلك! ومثل الإسلام يجهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال: **«أين خالد؟»**.

فقلت: يأتي الله به.. فقال: «مثله جهل الإسلام!! ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرًا له.. ولو جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره.. فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة.

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام.. وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني.. وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.. فقلت: إن هذه الرؤيا حق.

فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟! فلقيت صفوان بن أمية.. فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه؟

إنما نحن كأضراس يطحن بعضها بعضًا.. وقد ظهر محمد على العرب والعجم.. فلو قدمنا على محمد واتبعناه.. فإن شرف محمد لنا شرف؟ فأبى أشد الإباء.. وقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدًا.. فافترقنا.. وقلت في نفسي: هذا رجل مصاب.. قتل أخوه وأبوه بمعركة بدر.. فلقيت عكرمة بن أبي جهل.. فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية..

فقال لي مثل ما قال لي صفوان بن أمية.

قلت: فاكتم عليَّ خروجي إلى محمد.

قال: لا أذكره لأحد.. فخرجت إلى منزلي.. فأمرت براحلتي فخرجت بها.. إلى أن لقيت عثمان بن طلحة.

فقلت: إن هذا لي صديق.. فلو ذكرت له ما أرجو.. ثم ذكرت من قتل من آبائه في حربنا مع المسلمين.. فكرهت أن أذكره.

ثم قلت: وما عليَّ أن أخبره.. وأنا راحل في ساعتي هذه!.. فذكرت له ما صار أمر قريش إليه.. وقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر.. لو صب عليه

ذنوب من ماء لخرج.. وقلت له نحوًا مما قلت لصاحبي.. فأسرع الاستجابة وعزم على الخروج معي للمدينة!.

فقلت له: إني خرجت هذا اليوم.. وأنا أريد أن أمضي للمدينة.. وهذه راحلتي مجهزة لي على الطريق.

قال: فتواعدنا أنا وهو في موضع يقال له: «يأجج».. إن سبقني أقام ينتظرني.. وإن سبقته أقمت أنتظره.. فخرجت من بيتي آخر الليل سحرًا.. خوفًا من أن تعلم قريش بخروجنا.. فلم يطلع الفجر حتى التقينا في «يأجج».. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة.. فوجدنا عمرو بن العاص على بعيره.

قال: مرحبًا بالقوم.. إلى أين مسيركم؟

فقلنا: وما أخرجك؟

فقال: وما أخرجكم؟

قلنا: الدخول في الإسلام.. واتباع محمد ﷺ.

قال: وذاك الذي أقدمني.

فاصطحبنا جميعًا حتى دخلنا المدينة.. فأنخنا بظهر الحرة ركابنا.. فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسرَّ بنا.. فلبست من صالح ثيابي. ثم توجهت إلى رسول الله ﷺ.. فلقيني أخي فقال: أسرع.. فإن رسول الله ﷺ قد أُخبِرَ بك فُسرَّ بقدومك وهو ينتظركم.. فأسرعنا السير.

فأقبلت إلى رسول الله أمشي.. فلما رآني من بعيد تبسم.. فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه.. فسلمت عليه بالنبوة. فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق.

فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله.. وأنك رسول الله.

obeikandl.com

فقال ﷺ: «الحمد لله الذي هداك.. قد كنت أرى لك عقلًا.. رجوت ألَّا يسلمك إلا إلى خير».

قلت: يا رسول الله.. إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك.. معاندًا للحقِّ.. فادع الله أن يغفرها لي.

فقال ﷺ: «الإسلام يجب ما كان قبله».

قلت: يا رسول الله.. على ذلك.. فاستغفر لي. **قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدٍّ عن سبيل الله».**

ومن بعدها كان خالد رأسًا من رءوس هذا الدين..

أما إسلامه؛ فكان برسالة غير مباشرة وصلت إليه من رسول الله ﷺ.. فما أحلمه ﷺ وأحكمه.. فلنتبع مثل هذه المهارات في التأثير في الناس.

فلو رأيت شخصًا يبيع سجائر في بقالة فأردت تنبيهه.. فأثن أولًا على بقالته ونظافتها.. وادع له بالبركة في الربح.. ثم نبِّهه على أهمية الكسب الحلال؛ ليشعر أنك لم تنظر إليه بمنظار أسود.. بل أمسكت العصا من النصف.

كن ذكيًّا.. ابحث عن أي حسنات فيمن أمامك تغمر فيها سيئاته.. أحسن الظن بالآخرين.. ليشعروا بعدلك معهم فيحبوك.

لمحة

عندما يقتنع الناس أننا نلحظ حسناتهم.

كما نلحظ سيئاتهم.. يقبلون منا التوجيه.

obeikandl.com

اجعل معالجة الخطأ سهلة

تتنوع الأخطاء التي تقع من الناس كبرًا وصغرًا.. ومهما كان حجم الخطأ فإنه يمكن علاجه.. نعم قد لا يفيد العلاج في إصلاح ما أفسده الخطأ ١٠٠٪، لكنه على الأقل يصلح أكثر الفاسد.. عدد غير قليل من الناس لا يسعى إلى إصلاح أخطائه لشكه في قدرته أصلًا على علاجها.

وأحيانًا تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء هي جزء من الخطأ نفسه.. يقع ولدي في خطأ فألومه وأحقره وأعظم عليه الخطأ حتى يشعر بأنه سقط في بئر ليس له قاع!! فييأس من الإصلاح.. ويبقى على ما هو عليه.

وقد تقع في الخطأ زوجتي أو يقع فيه صديقي.. فإذا أشعرته أنه أخطأ، ولكن الطريق لم ينقطع بعد فمعالجة الخطأ سهلة.. والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.. كان هذا أكثر إصلاحًا له.

جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة.. وقال: إني جئت أبايعك على الهجرة.. وتركت أبواي يبكيان.. فلم يعنفه ﷺ أو يحقر فعله.. أو يصغر عقله.. فالرجل جاء بنية صالحة، ويرى أنه فعل الأصلح.. أشعره ﷺ أن معالجة الخطأ سهلة، فقال له بكل بساطة: «**ارجع إليهما؛ فأضحكهما كما أبكيتهما**»[1].. وانتهى الأمر.

كان ﷺ يتعامل مع الناس بأساليب تربي فيهم الرغبة في الخير، وتشعرهم أنهم إلى الخير أقرب.. حتى وإن وقعوا في أخطاء.

وبين يدي حادثة مروعة.. الشاهد منها آخرها.. لكني سأوردها من أولها

---

(١) رواه أبو داود والنسائي، وهو صحيح.

رغبة في الفائدة.. كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين نسائه.. فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.. فلما أراد الخروج إلى غزوة بني المصطلق.. أقرع بينهن فخرج سهم عائشة.. فخرجت مع رسول الله ﷺ.. وذلك بعدما أنزل الحجاب.. وكانت تحمل في هودج.. فإذا نزلوا نزلت من هودجها.. وقضت حاجاتها.. فإذا أرادوا الارتحال ركبت فيه.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من غزوته توجه قافلًا إلى المدينة.. حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلًا فبات به بعض الليل.. ثم آذن الناس بالرحيل.

فبدأ الناس يجمعون متاعهم للرحيل.. فخرجت عائشة لبعض حاجتها.. وفي عنقها عقد لها فيه جزع ظفار.

فلما فرغت من حاجتها.. انسلَّ العقد من عنقها، وسقط وهي لا تدري.. فلما رجعت العسكر وأرادت الدخول في هودجها لمست عنقها فلم تجد العقد.. وقد بدأ الناس في الرحيل.

فرجعت سريعًا إلى مكانها الذي قضت فيه حاجتها.. فأخذت تبحث عنه.. وأبطأت.. وجاء القوم فحملوا هودجها وهم يظنون أنها فيه.. فاحتملوه.. فشدوه على البعير.. ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به.. وسار الجيش.

أما عائشة فبعد بحث طويل وجدت العقد.. فعادت إلى مكان الجيش.

قالت عائشة: فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب.. قد انطلق الناس.. فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ.. فتلففت بجلبابي.

فبينما أنا جالسة في منزلي إذ غلبتني عيني فنمت.. فوالله إني لمضطجعة إذ

مرَّ بي صفوان بن المعطل.. وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته.. فلم يبت مع الناس.

فرأى سواد إنسان نائم.. فأتاني فعرفني حين رآني.. وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علينا.. فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.. ظعينة رسول الله ﷺ؟

فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي.. والله ما كلمني كلمة.. ولا سمعت منه غير استرجاعه.. حتى أناخ راحلته.. فوطئ على يديها.. فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعًا يطلب الناس.

فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدوني حتى أصبحنا.. فوجدناهم نازلين.

فبينما هم كذلك.. إذ طلع الرجل يقود بي البعير.. فقال أهل الإفك ما قالوا.. وارتج العسكر.. ووالله ما أعلم بشيء من ذلك. ثم قدمنا المدينة.. فلم ألبث أن مرضت واشتكيت شكوى شديدة.. وأنا لا يبلغني من كلام الناس شيء.

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ.. وهم لا يذكرون لي منه قليلًا ولا كثيرًا.. إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي.

كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي.. فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك.. بل كان إذا دخل عليَّ وعندي أمي تمرضني قال: «**كيف تيكم؟**» لا يزيد على ذلك.. حتى وجدت في نفسي.. فلما رأيت جفاءه لي قلت: يا رسول الله.. لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني.

قال: «لا عليك»..

فانتقلت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان.. حتى نقهت من وجعي بعد

obeikandl.com

بضع وعشرين ليلة.. فخرجت ليلة لبعض حاجتي، ومعي أم مسطح بنت خالة أبي بكر ﷺ.. فوالله إنها لتمشي معي إذا تعثرت في مرطها.. وسطقت أو كادت.

فقالت: تعس مسطح. **قلت:** بئس لعمر الله ما قلت.. تسبين رجلًا قد شهد بدرًا؟ **فقالت:** أي هنتاه.. أولم تسمعي ما قال؟ أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟! **قلت:** وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك. **قلت:** أوقد كان هذا؟ **قالت:** نعم والله لقد كان.

فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت.. فازددت مرضًا إلى مرضي.. فوالله ما زلت أبكي، حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي.. وقلت لأمي: يغفر الله لكِ.. تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا.

قالت: أي بنية خففي عليك الشأن، فوالله لقلَّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها.. ولها ضرائر إلا كثرن.. وكثر الناس عليها.

قلت: سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت.. لا يرقأ لي دمع.. ولا أكتحل بنوم.. ثم أصبحت أبكي.

هذا حال عائشة.. تتهم بذلك وهي الفتاة التي لم يتجاوز عمرها خمس عشرة سنة.. تتهم بالزنا وهي العفيفة الشريفة.. زوجة أطهر الناس.. التي ما كشفت سترها.. ولا هتكت عرضها.. هذا حالها تبكي في بيت أبويها.

أما حال رسول الله ﷺ فلا يبعد حزنًا وهمًّا عن عائشة.. فلا جبريل يرسل.. ولا القرآن ينزل.. ويبقى ﷺ متحيرًا في أمره.. وقد كبر عليه اتهام المنافقين.. وكلام الناس في عرضه زوجه.

فلما طال الأمر عليه قام ﷺ في الناس فخطبهم.. فحمد الله وأثنى عليه..

ثم قال: «**أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي.. ويقولون عليهم غير الحق.. والله ما علمت عليهم إلا خيرًا.. ويقولون ذلك لرجل، والله ما علمت منه إلا خيرًا، ولا يدخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي**».

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة.. قام أمير الأوس سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفك إياهم.. وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج؛ فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم.

فلما سمع ذلك أمير الخزرج سعد بن عبادة قام.. وكان رجلًا صالحًا.. لكن أخذته الحمية.. قام فقال: كذبت لعمر الله.. ما تضرب أعناقهم.. أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج؟ ولو كانوا من قومك ما قلت هذا.

فقال أسيد بن حضير: كذبت لعمر الله.. والله لنقتلنه.. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.. ثم ثار الناس بعضهم إلى بعض.. حتى كادوا أن يقتتلوا.. ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر.. فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.. فلما رأى ﷺ ذلك نزل فدخل بيته.

ولما رأى أن الأمر لا يمكن حله من جهة عموم الناس أراد أن يجد حلًّا من جهة أهل بيته.. وأخص الناس به.. فدعا عليًّا وأسامة بن زيد.. فاستشارهما.

فأما أسامة فأثنى على عائشة خيرًا وقال: يا رسول الله.. أهلك وما نعلم منهم إلا خيرًا.. وهذا الكذب والباطل.

وأما عليٌّ فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير.. وإنك لقادر على أن تستخلف.. وسل الجارية فإنها ستصدقك.. فدعا رسول الله ﷺ بريرة.

فقال: «أي بريرة.. هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟».

فقالت بريرة: لا.. والذي بعثك بالحق نبيًّا.. والله ما أعلم إلا خيرًا.. وما كنت أعيب على عائشة شيئًا.. إلا أنها جارية حديثة السن.. فكنت أعجن عجيني.. فآمرها أن تحفظه فتنام عنه.. فتأتي الشاة فتأكله.

نعم.. كيف ترى الجارية على عائشة ريبة.. وهي الفتاة الصالحة التي رباها صديق الأمة أبو بكر.. وتزوجها سيد ولد آدم.

بل كيف تقع في ريبة وهي أحب الناس إلى رسول الله، ولم يكن ﷺ يحب إلا طيبًا.. فهي البريئة المبرأة.. ولكن الله يبتليها ليعظم أجرها، ويرفع ذكرها.

وتمضي على عائشة الأيام.. والآلام تلد الآلام.. وهي تتقلب على فراش مرضها.. لا تهنأ بطعام ولا شراب.

وقد حاول رسول الله ﷺ أن يحل المشكلة بخطبة على رءوس الناس، فكادت الحرب تقع بين المسلمين.. وحاول أن يحلها في بيته ويسأل عليًّا وزيدًا.. فلم يخرج بشيء.. فلما رأى ذلكم، أراد أن ينهي الأمر من جهة عائشة.

قالت -رضي الله عنها: وبكيت يومي ذلك لا ترقأ لي دمعة.. ولا أكتحل بنوم.. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترقأ لي دمعة ولا أكتحل بنوم.. وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي.

فأقبل يحث الخطى إلى بيت أبي بكر.. فاستأذن.. ودخل عليها وعندها أبوها وأمها.. وامرأة من الأنصار.. وهي أول مرة يدخل فيها بيت أبي بكر منذ قال الناس ما قالوا.. وما رأى عائشة منذ قرابة الشهر.. وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شيء في شأن عائشة.

دخل ﷺ على عائشة.. فإذا هي طريحة الفراش وكأنها فرخ منتوف من

شدة البكاء والهم.

وإذا هي تبكي.. والمرأة تبكي معها.. لا يملكان من الأمر شيئًا.. فجلس رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا**».. وذكر ﷺ خبر الإفك.. وما أشيع من وقوعها في خطأ كبير.

ثم أراد ﷺ أن يبيِّن لها أن الإنسان مهما وقع في خطأ؛ فإن معالجة هذا الخطأ ليست صعبة.. فقال لها: «**فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ﷻ.. وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ﷻ وتوبي إليه.. فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب.. تاب الله عليه**»..

هكذا.. حل سهل للخطأ – إن كان قد وقع – دون تعقيد وتطويل.

قالت عائشة: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته.. قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة.. وانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما.

فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال.

فقال: والله ما أدري، ما أقول لرسول الله ﷺ!.

فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ.

فقالت: والله ما أدري، ما أقول لرسول الله ﷺ!

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام.. فلما استعجما عليَّ استعبرت فبكيت؟

ثم قلت: لا.. والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا.

إني والله قد عرفت أنك قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم

به، ولئن قلت لكم: إني بريئة – والله ﷻ يعلم أني بريئة – لا تصدقوني.. وإن اعترفت لكم بأمر – والله ﷻ يعلم أني منه بريئة– لا تصدقوني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.. وأنا والله أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي.. ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى.. ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى.. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله ﷻ بها.

فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد.. حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه، وأنزل الله على نبيِّه.. فأما أنا حين رأيته يوحى إليه.. فوالله ما فزعت.. وما باليت.. قد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي.

وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده.. ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما.. فرقًا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.. فلما سري عنه ﷺ.. فإذا هو يضحك.. فجعل يمسح العرق عن وجهه.

وكان أول كلمة تكلَّم بها أن قال: «**أبشري يا عائشة قد أنزل الله ﷻ براءتك**».

فقلت: الحمد لله، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۝ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١١-١٣].

وتوعد الله أولئك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك، ثم أقام حد القذف على من قذف.

إذن.. ينبغي أن تتعامل مع المخطئ على أنه مريض يحتاج إلى علاج.. لا أن تبالغ في كبته وتعنيفه.. لأنه قد يصل إلى درجة يشعر معها أنك فرح بهذا الخطأ.. والطبيب الناصح هو الذي يهتم بصحة مرضاه أكثر من اهتمامهم هم بأنفسهم..

قال ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها..فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها».

رأيي

أحيانًا تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء أكبر من الخطأ نفسه.

الرأي الآخـــــر

كما أن الناس يختلفون في طباعهم وأشكالهم كذلك هم يختلفون في وجهات نظرهم وفي قناعاتهم وتصرفاتهم.. فإذا شعرت أن أحدًا خالف الصواب.. ونصحته وحاولت إصلاح خطئه ولم يقتنع.. فلا تصنف اسمه من بين أعدائك.. وخذ الأمور بأريحية قدر المستطاع.

فلو حاولت صلاح خطأ عند أحد زملائك فلم يستجب.. فلا تقلب الصداقة عداوة.. وإنما استمر في التلطف، فلعله أن يبقى على خطئه ولا يزيد.

وقد قيل: حنانيك بعض الشر أهون من بعض.. إذا تعاملت مع الناس بهذه الأريحية.. فلم تغضب على كلِّ صغيرة وكبيرة عشت سعيدًا.

قالت عائشة -رضي الله عنها: «**ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط.. وما ضرب شيئًا قط بيده.. ولا امرأة.. ولا خادمًا.. إلا أن يجاهد في سبيل الله.. وما نيل منه شيء قط.. فينتقم من صاحبه.. إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله**»[1].

إذن.. كان ﷺ يغضب.. لكنه غضب لله.. لا يغضب لنفسه.. وحتى نفهم الفرق بين الغضبين: افرض أن ولدك الصغير جاءك ذات صباح وطلب ريالًا أو ريالين مصروفًا للمدرسة.. فبحثت في محفظة نقودك فلم تجد إلا فئة الخمسمائة ريال.. فأعطيتها له.. وقلت: هذه خمسمائة ريال.. اصرف منها ريالين وأرجع الباقي.. وأكدت عليه وكررت.

فلما رجع بعد الظهر فإذا المال كله قد صرفه.. فماذا ستفعل؟ وكيف

---

(١) رواه مسلم.

سيكون غضبك؟ قد تضرب وتعنف وتمنعه من مصروفه أيامًا.

ولكن لو رجعت مرة من صلاة العصر ووجدته يلعب بالكمبيوتر أو عند التلفاز.. ولم يصل في المسجد.. فهل ستغضب كغضبك الأول؟ أظننا نتفق أن غضبنا الأول سيكون أشد وأطول وأكثر تأثيرًا من غضبنا الثاني.

أما رسول الله ﷺ فكان غضبه لله.. وكان يعرض النصيحة أحيانًا ولا تقبل.. فيأخذ الأمر بهدوء.. فالهداية بيد الله.

قدم رسول الله ﷺ على تبوك على حدود الشام.. اقترب من مملكة الروم.. فبعث دحية الكلبي رضي الله عنه إلى هرقل ملك الروم.

وصل دحية رضي الله عنه إلى هرقل.. دخل عليه.. ناوله كتاب رسول الله ﷺ.. فلما أن رأى هرق الكتاب دعا قسيسي الروم وبطارقتها.. ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم.. وقد أرسل إليَّ أن يدعوني إلى ثلاث خصال.

يدعوني:

١- أن اتبعه على دينه.

٢- أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا.

٣- أو نلقي إليه الحرب.

ثم قال هرقل: والله لقد عرفتم فيما تقرءون من الكتب ليأخذن أرضنا.. فهلمَّ فلنتبعه على دينه.. أو نعطيه مالنا على أرضنا.. فلما سمع القساوسة ذلك، ورأوا أنه يدعوهم لترك دينهم! غضبوا.. ونخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم.. أي: سقطت أرديتهم من شدة الغضب والانتقاض!!

وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية، أو نكون عبيدًا لأعرابي جاء من

الحجاز!! أسقط في يد هرقل.. وأيقن أنه تورط بعرضه عليهم.

وكان هؤلاء القساوسة لهم سطوة وجمهور قوي.. فعلم هرقل أنهم إن خرجوا من عنده.. أفسدوا عليه الروم.. فجعل يهدئهم.. ويقول: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم.

كان هرقل يعلم أن النبي ﷺ هو الرسول الذي بشر به عيسى ﷺ.. فأراد أن يتأكد من ذلك.. دعا هرقل رجلًا من عرب قبيلة «تجيب».. كان من نصارى العرب.

وقال له: ادع لي رجلًا حافظًا للحديث.. عربيّ اللسان، أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه.. مضى ذاك التجيبي.. وجاء برجل من بني «تنوخ».. من نصارى العرب.. دفع هرقل كتابًا لهذا التنوخي ليوصله لرسول الله ﷺ.. وقال له: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل.

فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال:

١- انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيء؟

٢- وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل؟

٣- وانظر في ظهره هل به شيء يريبك؟

مضى التنوخي بكتابه حتى وصل إلى تبوك.. فإذا رسول الله ﷺ جالس بين ظهراني أصحابه.. محتبيًا على الماء.. فوقف التنوخي عليهم.. وقال: أين صاحبكم؟ **قيل:** ها هو ذا.. فأقبل يمشي حتى جلس بين يديه.. فناوله كتاب هرقل.. فأخذه ﷺ.. فوضعه في حجره.. ثم قال: «**ممن أنت؟**»

قال: أنا أخو تنوخ.

فقال ﷺ: «**هل لك إلى الإسلام.. الحنيفية.. ملة أبيك إبراهيم؟**».

كان ﷺ راغبًا في دخول هذا الرجل في الإسلام.

في الحقيقة لم يكن هناك ما يمنع التنوخي من اتباع الحق إلا التعصب لدين قومه فحسب!! **فقال** التنوخي بكل صراحة: إني رسول قوم.. وعلى دين قومي.. لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم.

فلما رأى ﷺ هذا التعصب لم يغضب ولم يعمل مشكلة.. وإنما ضحك وقال: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص:٥٦].

ثم قال ﷺ بكلِّ هدوءٍ: «**يا أخا تنوخ.. إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه.. وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرق ملكه.. وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسًا ما دام في العيش خير**».

تذكر التنوخي وصية هرقل.. وقال في نفسه: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي.. فخشي أن ينساها. فأخذ سهمًا من جعبته فكتبها في جنب سيفه، ثم إن رسول الله ﷺ ناول الصحيفة رجلًا عن يساره.

فقال التنوخي: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ **قالوا**: معاوية.

بدأ معاوية رضي الله عنه يقرأ.. فإذا هرقل قد كتب إلى النبي ﷺ: تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين!! فأين النار؟

فقال ﷺ: «**سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار**».. فانتبه التنوخي أن هذه الثانية التي أمره هرقل بترقبها.. فأخذ سهمًا من جعبته فكتبه في جلد سيفه.

فلما أن فرغ معاوية من قراءة الكتاب.. التفت ﷺ إلى التنوخي الذي لم

يقبل النصح ولم يدخل في الدين.

وقال له متلطفًا: «إن لك حقًّا وإنك لرسول.. فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها.. إنا سفر مرملون».. يعني: أتمنى أن أعطيك هدية.. لكننا كما ترانا مسافرين جالسين على الرمال!!

فقال عثمان ﷺ: أنا أجوزه يا رسول الله.. ثم قام عثمان ففتح رحله.. فأتى بحلة ولباس فوضعها في حجر التنوخي..

ثم قال ﷺ **الكريم: «أيكم ينزل هذا الرجل؟»** يعني يقوم بحق ضيافته!! فقال فتى من الأنصار: أنا.

فقام الأنصاري وقام التنوخي يمشي معه وباله مشغول بالأمر الثالث الذي أمره هرقل أن يتأكد له منه.. وهو خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ.. مشى التنوخي خطوات.. وفجأة.. إذا برسول الله ﷺ يصيح به: **«تعال يا أخا تنوخ»**..!! فأقبل التنوخي يهوي مسرعًا.. حتى قام بين يدي النبي ﷺ.. فحل ﷺ حبوته.. ثم أسقطم رداءه عن ظهره.. فانكشف ظهره للتنوخي.. فقال ﷺ: **«هاهنا أمض لما أمرت به»**.

قال التنوخي: فنظرت في ظهره.. فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحجمة الضخمة[1].

فكرة

المقصود أن يدرك الناس أخطاءهم.

وليس شرطًا أن يصححوها أمامك.. فلا تغضب.

(١) في مسند أحمد.. بإسناد قال فيه ابن كثير: لا بأس به.. سير ابن كثر (٤/ ٢٧٩).

قابل الإساءة بالإحسان

عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك في الغالب على ما يريدون هم.. لا على ما تريد أنت.. فليس كل ما قابلته ببشاشة بادلك بشاشة مثلها.. فبعضهم قد يغضب ويسيء الظن ويسألك: مم تضحك؟!

ولا كل من أهديت له هدية ردَّ لك مثلها.. فبعضهم قد تهدي إليه ثم يغتابك في المجالس ويتهمك بالسفه وتضييع المال..!!

ولا كل من تفاعلت معه في كلامه، أو أثنيت عليه وتلطفت معه في عباراتك قابلك بمثلها.. فإن الله قسَّم الأخلاق كما قسَّم الأرزاق.. والمنهج الرباني هو: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

وبعض الناس لا حل له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه.

ذكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقي دواب.. حتى تعب وضجر.

وفي طريق رجوعهما نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما أشعب فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش وأنزل المتاع.. ثم التفت إلى أشعب وقال: قم اجمع الحطب، وأنا أقطع اللحم.

فقال أشعب: أنا والله متعب من طول ركوب الدابة.. فقام الرجل وجمع الحطب.. ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب.

فقال: يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه.. فأشعلها الرجل.

ثم قال: يا أشعب! قم ساعدني لأقطع اللحم.

فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي.. فقطع الرجل اللحم وحده.

ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام.

فقال: يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه.

فتولى الرجل الطبخ والنفخ.. حتى جهَّز الطعام وقد تعب.. فاضجع على الأرض.. وقال: يا أشعب! قُمْ جهِّز سفرة الطعام.. وضع الطعام في الصحن.

فقال أشعب: جسمي ثقيل ولا أنشط لذلك.

فقام الرجل وجهَّز الطعام، ووضعه على السفرة.

ثم قال: يا أشعب! قُمْ شاركني في أكل الطعام.

فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذاري، وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل!!

فقد تلاقي من الناس من هو مثل أشعب.. فلا تحزن.. وكن جبلًا.

كان المربي الأول ﷺ يتعامل مع الناس بعقله لا بعاطفته.. كان يتحمل أخطاء الآخرين ويرفق بهم.

وانظر إليه ﷺ وقد جلس في مجلس مبارك يحيط به أصحابه.. فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتيل.. أي: هذا الرجل قد قتل – هو أو غيره – رجلًا فأقبل يريد من النبي ﷺ أن يعينه بمالٍ يؤديه إلى أولياء المقتول.

فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا.. ثم قال تلطفًا معه: «**أحسنت إليك؟**».

قال الأعرابي: لا.. لا أحسنت، ولا أجملت.

فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه.. فأشار النبي ﷺ إليهم أن

obeikandl.com

كفوا، ثم قام ﷺ إلى منزله.. ودعا الأعرابي إلى البيت فقال له: «**إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت**».

ثم زاده ﷺ شيئًا من مال وجده في بيته.. فقال: «**أحسنت إليك؟**».

فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فأعجبه ﷺ هذا الرضا منه.. لكنه خشي أن يبقى في قلوب أصحابه على الرجل شيء.. فيراه أحدهم في طريق أو سوق فلا يزال حاقدًا عليه.. فأراد أن يسلَّ ما في صدورهم.

فقال له ﷺ: «إنك كنت جئتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت.. وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء.. فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي.. حتى يذهب عن صدورهم».

فلما جاء الأعرابي.. قال ﷺ: «**إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال.. وإنا قد دعوناه فأعطيناه.. فزعم أنه قد رضي**».

ثم التفت إلى الأعرابي وقال: «**أكذاك؟**».

قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فلما همَّ الأعرابي أن يخرج إلى أهله أراد ﷺ أن يعطي أصحابه درسًا في كسب القلوب.. فقال لهم:

«إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه.. فاتبعها الناس.. يعني: يركضون وراءها ليمسكوها.. وهي تهرب منهم فزعًا، ولم يزيدوها إلا نفورًا.. فقال صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي.. فأنا أرفق بها وأعلم بها.. فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت.. وشدَّ عليها رحلها.. واستوى عليها.. ولو أني

أطعتكم حيث قال ما قال دخل النار.. يعني: لو طردتموه.. لعله يرتد عن الدين.. فيدخل النار»[1].

وما كان الرفق في شيء إلا زانه.. وما نزع من شيء إلا شأنه.. ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾.

ذكر أنه ﷺ لما فتح مكة.. جعل يطوف بالبيت.. فأقبل فضالة بن عمير.. رجل يظهر الإسلام.. فجعل يطوف خلف النبي ﷺ.. ينتظر منه غفلة ليقتله..!!

فلما دنا من النبي ﷺ انتبه إليه.. فالتفت وقال: «**أفضالة!!**».

قال: نعم.. فضالة يا رسول الله.

قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء.. كنت أذكر الله!!

فضحك النبي ﷺ ثم قال: «**استغفر الله**».

قال فضالة: ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدري.

فسكن قلبي.. فوالله ما رفع رسول الله ﷺ يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليَّ منه.

ثم رجع فضالة إلى أهله.. فمرَّ بامرأة كان يجالسها ويتحدث إليها.. فلما رأته قالت: هلم إلى الحديث.

فقال: لا.. ثم قال:

---

(١) الحديث رواه البزار، وفي سنده مقال.

obeikandl.com

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

وكان فضالة بعدها من صالحي المسلمين.

كان ﷺ يملك قلوب الناس بالعفو عنهم.. يتحمل الأذى في سبيل التأثير فيهم.. وجرهم إلى الخير.

كان أبو طالب يكفُّ عن النبيِّ ﷺ كثيرًا من أذى قريش.. فلما مات أبو طالب ضيَّقت قريش كثيرًا على النبي ﷺ في مكة، ونالت من الأذى ما لم تكن نالته منه من حياة عمه أبي طالب.. فجعل ﷺ يفكر في مكان آخر يلجأ إليه.. يجد فيه النصرة والتأييد..

فخرج إلى الطائف يلتمس من قبيلة ثقيف النصرة والمنعة.. دخل الطائف.. فتوجه إلى ثلاثة رجال هم سادة ثقيف وأشرافهم.. وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو.. وأخوه مسعود.. وحبيب.

جلس إليهم.. دعاهم إلى الله.. كلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام.. والقيام معه على من خالفه من قومه.. فكان ردهم بذيئًا!!

أما أحدهم فقال: أنا أمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!!

وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟!

وجعل الثالث يبحث متحذلقًا عن عبارة يرد بها.. حرص على أن تكون أبلغ من كلام صاحبيه.

فقال: والله لا أرد عليك أبدًا.. لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت

أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام.. ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.. وخشي أن تعلم قريش أنهم ردوه.. فيزدادون أذى له.. فقال لهم: إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ.

فلم يفعلوا.. بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم.. فجعلوا يركضون وراء رسول الله ﷺ يسبونه ويصيحون به.

وقد اصطفوا صفين.. وهو يسرع الخطى بينهم.. وكلما رفع رجلًا رضخوها بالحجارة.. وهو ﷺ يحاول أن يسرع في خطاه ليتقي ما يرمونه به من حجارة.

وجعلت قدماه الشريفتان ﷺ تسيلان بالدماء.. وهو الكهل الذي جاوز الأربعين.

فأبعد عنهم.. ومشى.. ومشى.. حتى جلس في موضع آمن يستريح.. تحت ظل نخلة.. وهو منشغل البال.. كيف ستستقبله قريش؟! كيف سيدخل مكة؟!

فرفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي.. وقلة حيلتي.. وهواني على الناس.

يا أرحم الراحمين.. أنت رب المستضعفين.. وأنت ربي.

إلى من تكلني! إلى بعيد يتجهمني.. أم إلى عدو ملكته أمري!

إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي.. ولكن عافيتك هي أوسع لي.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات.. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. من أن تنزل بي غضبك.. أو تحل عليَّ سخطك.

لك العتبي حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك».

فبينما هو كذلك.. فإذا بسحابة تظله ﷺ.. وإذا فيها جبريل عليه السلام.. فناداه: يا محمد.. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وما ردوا عليك.. وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

وقبل أن ينطق ﷺ بكلمة.. ناداه ملك الجبال:

«السلام عليك يا رسول الله.. يا محمد.. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وأنا ملك الجبال.. قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت».

ثم قبل أن ينطق ﷺ أو يختار.. جعل ملك الجبال يعرض عليه.. ويقول:

«إن شئت أطبق عليهم الأخشبين» –وهما جبلان عظيمان في جانبي مكة – وجعل ملك الجبال ينتظر الأمر..

فإذا به ﷺ يطأ على خطوظ النفس.. وشهوة الانتقام.. ويقول: **«بل.. أستأني بهم.. فإني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، ولا يشرك به شيئًا».**

كن بطلا

وإن الـذي بيني وبـين بنـي أبي	وبـين بنـي عمـي لمختلـف جـدًّا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم	وإن هـدموا مجـدي بنيـت لهـم مجـدًّا
وليســـوا إلى نصري سراعًـــا	وإن هـم دعـوني إلى نصر أتيتهم شـدًّا
ولا أحمـل الحقـد القـديم عليـهم	ولـيس رئـيس القـوم مـن يحمـل الحقـد

***

obeikandl.com

أقنعه بخطئه ليقبل النصح

بعض الناس يشغل الآخرين بكثرة التوجيهات والملاحظات حتى يوصلهم إلى مرحلة الملل والاستثقال.. خاصةً إذا كانت النصائح والتوجيهات مبنية على آراء وأمزجة شخصية.

كمن ينصحك بعد وليمة دعوت الناس إليها وتعبت في إعدادها وتعب معك أهلك ومالك!

ثم يقول لك هذا الناصح: يا أخي الوليمة ما كانت مناسبة.. وتعبك ذهب هدرًا.. وكنت أظن أنها ستكون بمستوى أعلى من هذا.

فتقول: لماذا؟

فيقول: يا أخي أكثر اللحم كان مشويًّا.. وأنا أحب اللحم المسلوق!!

والسلطات كانت حامضة بسبب الليمون.. وأنا لا أحب ذلك.. وكذلك الحلويات كانت مزينة بالكريمة.. وهذا يجعل طعمها غير مقبول.

ثم يقول لك: وعمومًا أكثر الناس أيضًا تضايقوا.. وما أكلوا إلا مجاملة.. أو لأنهم اضطروا إليه!!

قطعًا.. أنت هنا ستنظر إلى هذا الناصح نظرة ازدراء وإعراض.. ولن تقبل منه نصيحته؛ لأنها مبنية على آراء وأمزجة شخصية..!!

قل مثل ذلك فيمن ينصح آخر ويعنف عليه حول طريقة تعامله مع أولاده.. أو مع زوجته.. أو طريقة بنائه لبيته.. أو نوع سيارته.. بناء على ذوقه الخاص.

انتبه دائمًا أن تكون هذه النصائح والانتقادات مبنية على مجرد أمزجة

obeikandl.com

شخصية.. نعم لو طلب رأيك أبده له وأعرضه عليه.. أما أن تتكلم معه وتنصح كما تنصح المخطئ فلا.

وأحيانًا المنصوح لا يشعر أنه مخطئ، فلا بدَّ أن تكون حجتك قوية عند نصحه.

جلس أعرابي صلف مع قوم صالحين.. فتكلموا حول بر الوالدين.. والأعرابي يسمع.. فالتفت إليه أحدهم وقال: يا فلان.. كيف برك بأمك.

فقال الأعرابي: أنا بها بار.

قال: ما بلغ من برك بها؟

قال: والله ما قرعتها بسوط قط!!

يعني إن احتاج إلى ضَرْبِها ضَرَبَهَا بيده أو عمامته، أما السوط فلا يضربها به.. من شدة البر!!

فالمسكين ما كان ميزان الخطأ والصواب عنده مستقيمًا.

فكن رفيقًا لطيفًا حتى يقتنع الذي أمامك بخطئه.

كان في عهده ﷺ امرأة من بني مخزوم تستلف المتاع من النساء وتتغافل عن رده، فإذا سألوها عنه جحدته وأنكرت أنها أخذت شيئًا.. حتى زاد أذاها في الجحد والسرقة، فرفع أمرها إلى رسول الله ﷺ، فقضى فيها أن تقطع يدها.

فشقَّ على قريش أن تقطع يدها وهي من قبيلة من كبار قبائل قريش، فأرادوا أن يكلموا النبي ﷺ ليخفف هذا الحكم إلى حكم آخر.. كجلد أو غرامة مال أو نحو ذلك، وكلما توجه رجل منهم لنقاش النبي ﷺ في هذا الأمر تردد ورجع.

obeikandl.com

فقالوا: لن يجترئ على رسول الله ﷺ إلا أسامة بن زيد.. حب رسول الله ﷺ وابن حبه.. تربى هو وأبوه في بيت النبي ﷺ حتى صار كولده.. فكلموا أسامة..

أقبل أسامة إلى رسول الله ﷺ.. فرحب به وأجلسه عنده.

جعل أسامة يكلم النبي ﷺ ليخفف الحكم.. ويبين أن هذه المرأة من أشراف الناس.. وأسامة يواصل الكلام والنبي ﷺ يستمع.. كان أسامة يحاول إقناع النبي ﷺ برأيه.

نظر النبي ﷺ إلى أسامة.. فإذا هو يحاول ويناقش بكل قناعة.. ولا يدري أنه يطلب منه ما لا يجوز..!!

فتغير النبي وغضب ﷺ وكان أول كلمة قالها أن بيَّن له خطأه فقال:

«أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟».

فكأنه يبيِّن سبب غضبه لأسامة.. وأن حدود الله تعالى التي أوجب على عباده إقامتها لا تجوز الشفاعة فيها.. فانتبه أسامة.. وقال فورًا: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان الليل.. قام ﷺ فخطب في الناس، وأثنى على الله بما هو أهله.. ثم قال:

أما بعد.. فإنما أهلك الذين من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه.. وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.. وإني والذي نفسي بيده.. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة -رضي الله عنها: فحسنت توبتها بعدُ.. وتزودت.. وكانت تأتيني بعد ذلك.. فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ[1].

أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- له مواقف متعددة مع رسول الله ﷺ.. كلها تفيض الرحمة والتعامل الراقي.

قال أسامة: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقات من جهينة.. فهزمناهم وخرجنا في آثارهم.. فلحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم.. فلاذ منا بشجرة.. فلما أدركناه ورفعنا عليه السيف قال: لا إله إلا الله.

فأما صاحبي الأنصاري فخفض سيفه.. وأما أنا فظننت أنه يقولها فرقًا من السلاح.. فحملت عليه فقتلته.. فعرض في نفسي من أمره شيء.. فأتيت النبي ﷺ.. فأخبرته.

فقال لي: «أقال: لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟!».

قلت: إنه لم يقلها من قبل نفسه.. إنما قالها فرقًا من السلاح.

فأعاد عليَّ: «أقال: لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟! فهلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه إنما قالها فرقًا من السلاح». سكت أسامة.. فهو لم يشق عن قلب الرجل فعلا..!! لكنه كان في ساحة حرب.. والرجل مقاتل!!

فأعاد عليه ﷺ السؤال مستنكرًا: **«أقال: لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟!».**

«يا أسامة قتلت رجلًا بعد أن قال: لا إله إلا الله!! كيف تصنع بـ «لا إله إلا الله» يوم القيامة؟!».. فما زال يقول ذلك حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

obeikandl.com

فتأمل كيف تدرَّج معه ببيان الخطأ وإقناعه به.. ثم وعظه ونصحه.

ولأجل أن يقتنع المنصوح بما تقول ناقشه بأفكاره ومبادئه هو قدر المستطاع.. نعم فكر من وجهة نظره.

بينما رسول الله ﷺ في مجلسه المبارك يحيط به أصحابه الأطهار؛ إذ دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يمينًا وشمالًا كأنه يبحث عن أحد.. وقعت عيناه على رسول الله ﷺ.. فأقبل يمشي إليه.

كان المتوقع أن يجلس الشاب في الحلقة ويستمع إلى الذكر.. لكنه لم يفعل..! إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله.

ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله.. ائذن لي؟؟.. بطلب العلم؟! لا.. لم يقلها.. ويا ليته قالها.. ائذن لي بالجهاد.. لا.. ويا ليته قالها.

أتدري ماذا قال؟ قال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا.

عجبًا!! هكذا بكل صراحة؟!! نعم.. هكذا: ائذن لي بالزنا.

نظر النبي ﷺ إلى الشاب.. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرؤها عليه.. أو نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان في قلبه.. لكنه ﷺ سلك أسلوبًا آخر..

قال له ﷺ بكل هدوء: «**أترضاه لأمك؟**». فانتفض الشاب وقد مر في خاطره أن أمه تزني.. فقال: لا.. لا أرضاه لأمي. **فقال** له ﷺ بكل هدوء: «**كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم**». **ثم فاجأه سائلًا**: «**أترضاه لأختك؟!**». فانتفض الشاب مرة أخرى.. وقد تخيل أخته العفيفة تزني.. وقال مبادرًا: لا.. لا أرضاه لأختي. **فقال** ﷺ: «**كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم**». **ثم سأله**: «**أترضاه لعمتك؟! أترضاه لخالتك؟!**». **والشاب يردد**: لا.. لا. **فقال** ﷺ: «**فأحب للناس ما تحب لنفسك.. واكره للناس ما تكره لنفسك**». أدرك

الشاب عند ذلك أنه كان مخطئًا.. فقال بكل خضوع: يا رسول الله.. ادع الله أن يطهر قلبي. فدعاه ﷺ.. فجعل الشاب يقترب ويقترب حتى جلس بين يديه.. ثم وضع يده على صدره وقال: «**اللهم اهد قلبه.. واغفر ذنبه.. وحصن فرجه**».

فخرج الشاب وهو يقول: والله لقد دخلت على رسول الله ﷺ وما شيء أحب إليَّ من الزنا.. وخرجت من عنده وما شيء أبغض إليَّ من الزنا.

ثم انظر إلى استعمال العواطف.. دعاه.. وضع يده على صدره.. دعا له.. يعني استعمل جميع الأساليب لإصلاح من أمامه.. بعدما جعله يقتنع بشناعة الفعل ليتركه عن قناعة.. فلا يفعله أبدًا.. لا أمامه ولا خلفه.

قاعدة

إذا شعر المخطئ ببشاعة خطئه اقتنع بحاجته للنصيحة.

وصار قبوله أكثر.. وقناعته أكبر.

openkandil.com

لا تلمني!! انتهى الأمر؟

يظنُّ بعض الناس أنه عندما يلوم الآخرين على أخطائهم التي ربما تكون لا ترى إلا بالمجهر يظنُّ أنه يتقرب منهم أكثر.. أو أنه يقوي شخصيته بذلك.

والحق أنه ليس الذكاء والفطنة أن تستطيع اللوم.. وإنما هو أن تتجنبه قدر المستطاع.. وتسعى إلى إصلاح الأشخاص بأساليب لا تجرح ولا تحرج.

أحيانًا تحتاج في بعض الأمور إلى أن تتعامى.. خاصة الأشياء الدنيوية والحقوق الخاصة..

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

والملوم يعتبر اللوم سهمًا حادًّا يوجه إليه لأنه يشعره بنقصه.. هذا أولًا.

ثانيًا: تجنب النصح في الملأ قدر المستطاع..

تغمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس ... نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

بل إذا انتشر خطأ معين.. واضطررت إلى النصح العام.. فاعمل بقاعدة: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.. كما تقدَّم معنا.

إذن.. اللوم كالسوط الذي يجلد به اللائم ظهر الملوم.

وبعض الناس ينفر الآخرين؛ إما بكثرة لومهم.. أو بلومهم على أمور انتهت، ولا يقدم اللوم أو يؤخر فيها شيئًا.

أذكر أن رجلًا فقيرًا تغرب عن أهله إلى بلد آخر.. واشتغل سائق شاحنة.. كان في أحد الأيام متعبًا لكنه ركب الشاحنة، ومضى بها في طريق

طويل بين مدينتين.

غلبه النوم أثناء الطريق.. فجعل يصارعه وأسرع قليلًا.. فتجاوز سيارة أمامه دون أن ينتبه إلى الطريق فإذا أمامه سيارة صغيرة فيها ثلاثة أشخاص.

حاول أن يتفاداها.. لم يستطع.. فاصطدم بها وجهًا لوجه.. ثار الغبار.. وجعل المارة يوقفون سياراتهم ويتفرجون على الحادث.

نزل سائق الشاحنة.. ونظر إلى السيارة المصدومة.. وإلى من بداخلها فإذا هم موتى.. أنزلهم الناس واتصلوا بالإسعاف.

جلس سائق الشاحنة ينتظر وصول الإسعاف.. ويفكر فيما سيحصل له بعد الحادث من سجن ودية.. ويفكر في أولاده الصغار.. وزوجته.. مسكين.. هموم انهدت عليه كالجبال..!!

جعل الناس يمرون به ويلومونه.

عجبًا..!! أهذا وقت اللوم.. ألا يمكن أن يؤجل قليلًا؟

قال أحدهم: لماذا تسرع؟ هذه عواقب السرعة.

وقال آخر: (أكيد أنك كنت نعسان، ومع ذلك استمريت في القيادة..! لم توقف سيارتك وتنام).

وقال ثالث: (المفروض أن مثلك لا تصرف لهم رخصة قيادة!!)

كانوا يقولون هذه العبارات بأسلوب حاد فيه تعنيف وصراخ.

كان الرجل واجمًا.. جالسًا على صخرة ساكتًا.. متكئًا برأسه على يديه.. وفجأة هوى على جنبه.. و.. و.. مات.. قتلوه بلومهم.. ولو صبروا قليلًا لكان خيرًا له ولهم.

ضع نفسك موضع الملوم المخطئ.. وفكر من وجهة نظره.. فأحيانًا لو كنت مكانه قد تقع في خطأ أكبر من خطئه.

كان رسول الله ﷺ يراعي ذلك كثيرًا.. لما انصرف ﷺ من خيبر أطالوا المسير حتى تعبوا.. فلما أقبل الليل نزلوا في موضع في الطريق لينام.. فقال ﷺ: «**من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟**».

كان بلال رضي الله عنه متحمسًا فقال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك؟

فاضطجع رسول الله ﷺ.. ونزل الناس فناموا.. وقام بلال يصلي حتى تعب.. وقد كان متعبًا من طول الطريق قبل ذلك.. فقعد واستند إلى بعيره مستريحًا.. واستقبل الفجر يرمقه.. فغلبته عينه.. فنام.

كان الجميع في تعب شديد.. فطال نومه ونومهم.. ومضى الليل.. وطلع الصبح.. والكل نيام.. ولم يوقظهم إلا حر الشمس.

استيقظ رسول الله ﷺ.. وهبَّ الناس من نومهم.. فلما رأوا الشمس اضطربوا.. وكثر لغطهم.. الكلُّ ينظر إلى بلال.

التفت ﷺ إلى بلال وقال: «**ماذا صنعت بنا يا بلال؟**».

فأجاب بلال بجواب مختصر.. لكنه موضح للواقع تمامًا.. قال: يا رسول الله!.. أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك.

يعني: أنا بشر.. حاولت أن أقاوم النوم فلم أستطع.. غلبني النوم كما غلبكم!!

فقال ﷺ «**صدقت**».. وسكت عنه.. نعم فما فائدة اللوم هنا؟!!.

فلما رأى ﷺ اضطراب الناس.. قال ﷺ: «**ارتحلوا**».. فارتحلوا.. فمشى شيئًا يسيرًا.. ثم نزل ونزلوا.. فتوضأ وتوضئوا.. ثم صلى بالناس.. فلما سلم..

obeikandl.com

أقبل على الناس؛ فقال: «**إذا نسيتم الصلاة.. فصلوها إذا ذكرتموها**».

فلله دره ما أعقله وأحكمه ﷺ.. كان مدرسة لكل قائد.. ليس مثل بعض الرؤساء اليوم لا تكاد عصا اللوم والتقريع تنزل من يده.. بل كان ﷺ يضع نفسه مكان من تحته ويفكر بعقولهم.. ويتعامل مع القلوب قبل الأجساد.. يعلم أنهم بشر.. وليسوا آلات!!

في السنة الثامنة من الهجرة جمع الروم جيشًا وأقبل من جهة الشام لقتال النبي ﷺ وأصحابه.. وقيل: إنه ﷺ جمع جيشًا لغزوهم ابتداءً.

بدأ ﷺ يجهز جيشًا لإرساله إليهم.. فلم يزل يحث الناس حتى جمع ثلاثة آلاف.. فزودهم بما وجد من سلاح وعتاد.

قال لهم: «أميركم زيد بن حارثة.. فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس.. فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».

وخرج معهم ﷺ يودعهم.. وخرج الناس يودعون الجيش.. ويقولون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.

كان عبد الله بن رواحة مشتاقًا إلى الشهادة.. فقال:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم مضى الجيش إلى معركة مؤتة حتى نزلوا «معان» من أرض الشام.. فبلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم.. وانضم إليه من القبائل حوله مائة ألف.. فصار جيش الروم مائتي ألف.

فلما تيقن المسلمون من ذلك.. أقاموا في «معان» ليلتين ينظرون في أمرهم.

فقال بعضهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال أو يأمرنا بما يشاء فنمضي له.. وكثر كلام الناس في ذلك.

فقام عبد الله بن رواحة.. ثم صاح بالناس وقال: يا قوم.. والله إن التي تكرهون هي التي خرجتم تطلبون.. الشهادة في سبيل الله.. تفرون منها!! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة.. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به.. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما ظهور وإما شهادة.

فمضى الناس.. يسيرون.. حتى إذا دنوا من جيش الروم.. في موقعة «مؤتة» فإذا أعداد عظيمة لا قبل لأحد بها.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: شهدت يوم مؤتة.. فلما دنا منا المشركون.. رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والذهب، فبرق بصري.. فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعًا كثيرة؟

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد بدرًا معنا.. إنا لم ننصر بالكثرة.

ثم التقى الناس فاقتتلوا.. فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى كثرت عليه الرماح وسقط صريعًا شهيدًا رضي الله عنه.. فأخذ الراية جعفر بكل بطولة.. فاقتحم عن فرس له شقراء فجعل يقاتل القوم.. وهو يقول:

يـــا حبـــذا الجنـــة واقترابهـــا

طيبـــة وبـــارد شرابهـــا

والـــــروم قـــــد دنـــــا عـــــذابها

كـــــافرة بعيـــــدة أنســـــابها

عـــــلىَّ إن لاقيتهـــــا ضرابهـــــا

ثم إن جعفرًا أخذ اللواء بيمينه فقطعت.. فأخذ اللواء بشماله فقطعت.. فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال ابن عمر: وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيل.. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره.. فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء.. ثم إن رجلًا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعته نصفين.

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية.. ثم تقدم بها وهو على فرسه.. فجعل يستنزل نفسه.. ويتردد بعض التردد.. ويقول:

أقســـمت يـــا نفـــس لتنزلنـــه لتنـــــــزلن أو لتكرهنـــــــه

إن أجلـب النـاس وشـدوا الرنـة مـــــا لي أراك تكـــــرهين الجنـــة

ثم تذكر صاحبيه زيدًا وجعفر فقال:

يـــا نفـــس إلا تقـــتلي تمـــوتي هـــذا حمـام المـوت قـد صـليت

ومـــا تمنيـــت فقـــد أعطيـــت إن تفعـــلي فعلهـــما هـــديت

ثم نزل من على فرسه.. فلما استقر على قدميه أتاه ابن عم له بعرق من لحم.. شد بهذا صلبك.. فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت.. فأخذه من يده فانتهش منه نهشة.. ثم سمع الحطمة في ناحية الناس.

فنظر إلى عرق اللحم وقال: وأنت في الدنيا! فألقاه من يده.. ثم أخذ سيفه ثم تقدم.. فقاتل حتى قتل ﷺ.. فوقعت الراية.. واضطرب المسلمون..

وابتهج الكافرون.. والراية تطؤها الخيل ويعلوها الغبار.

فأقبل البطل ثابت بن أرقم.. ثم رفعها.. وصاح.. يا معشر المسلمين.. هذه الراية.. فاصطلحوا على رجل منكم.

فتصايح من سمعه وقالوا: أنت.. أنت.

قال: ما أنا بفاعل.

فأشاروا إلى خالد بن الوليد.. فلما أخذ الراية قاتل بقوة.. حتى إنه كان يقول: لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية.. ثم انحاز خالد بالجيش.. وانحاز الروم إلى معسكرهم.

خشي خالد أن يرجع بالجيش إلى المدينة من ليلته.. فيتبعهم الروم.. فلما أصبحوا غيَّر خالد مواقع الجيش.. فجعل مقدمة الجيش في المؤخرة.. وجعل مؤخرة الجيش في المقدمة.

ومن كانوا يقاتلون في يمين الجيش أمرهم بالانتقال إلى يساره.. وأمر من في الميسرة أن يذهبوا للميمنة.

فلما ابتدأ القتال وأقبل الروم.. فإذا كل سرية منهم ترى رايات جديدة ووجوها جديدة.. فاضطرب الروم.. وقالوا: قد جاءهم في الليل مدد.. فرعبوا في القتال.

فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة.. ولم يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلًا.. وانسحب خالد بالجيش آخر النهار من ساحة القتال.. ثم واصل مسيره نحو المدينة. فلما أقبلوا إلى المدينة لقيهم الصبيان يتراكضون إليهم.. ولقيتهم النساء فجعلوا يحثون التراب في وجوه الجيش ويقولون: يا فرار.. فررتم في سبيل الله؟!

فلما سمع النبي ﷺ ذلك علم أنهم لم يكن أمامهم إلا ذلك.. وأنهم فعلوا ما بوسعهم.

فقال ﷺ مدافعًا عنهم: «**ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله** ﷻ».

نعم انتهى الأمر.. وهم أبطال ما قصروا.. لكنهم بشر والأمر كان فوق طاقتهم.

إذن الصلاة على الميت الحاضر.. أحيانًا انتهى الأمر فلا فائدة من اللوم.

كان هذا منهجه ﷺ دائمًا.

لما سمع الكفار برسول الله ﷺ قادمًا بجيشه إلى مكة فاتحًا دخلهم الرعب.. فأرسل إليهم رسول الله ﷺ من يقول لهم:

«**من دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن**».

«**ومن دخل المسجد فهو آمن**».

«**ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**».

فبدأ الناس يفرون من بين يديه ﷺ.. فاجتمع بعض فرسان قريش وأرادوا أن يحاربوا.. فأبى عليهم قومهم.

فاجتمع نفر منهم في مكان يقال له: «الخندمة».. اجتمع صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وجمعوا ناسًا معهم بالخندمة ليقاتلوا..

وكان حماس بن قيس يعد سلاحًا قبل قدوم النبي ﷺ ويصلحه.

فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ **قال:** لمحمد وأصحابه..!!

كانت امرأته تعلم بقوة المسلمين.. فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء!

obeikandl.com

قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم.. يعني: يأسر بعضهم ويجيء بهم إليها خدمًا.

ثم قال مفتخرًا:

إن يقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كامل وألّه

وذو غرارين سريع السلة

ثم خرج من عندها إلى موقع «الخندمة»؛ حيث اجتمع أصحابه.. فما هو إلا أن لقيهم المسلمون يتقدمهم سيف الله خالد بن الوليد.. فابتدأ القتال.. وصال الأبطال.. فقتل في لحظة واحدة أكثر من اثني عشر أو ثلاثة عشر من الكفار.

فلما رأى حماس بن قيس ذلك التفت إلى صفوان وعكرمة.. فإذا هما يفران إلى بيوتهما.. فانهزم معهم.. وذهب يعدو إلى بيته فدخله سريعًا.

وأخذ يصيح بامرأته فزعًا: أغلقي عليَّ بابي.. فإنهم يقولون من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن.!!

فقالت: فأين ما كنت تقول؟ أن تهزمهم وتخدمني بعضهم..!! فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة

وأبو يزيد قائم كالمؤتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربًا فلا يسمع إلا غمغمة

لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

صحيح.. لو رأت امرأته ما رأى من شدة القتال ما نطقت في لومه كلمة..

وفي موقف آخر.. لما دخل النبي ﷺ مكة فاتحًا.. فقد كان يعلم عظمة البلد الحرام.. فقاتل قتالًا يسيرًا.. ثم قال: «**إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض.. وإنما حل لي ساعة من نهار**».

فقيل له: يا رسول الله.. أنت تنهى عن القتل.. وهذا خالد بن الوليد في كتيبته يقتل من لقيه من المشركين؟

فقال ﷺ: «**قم يا فلان.. فائت خالد بن الوليد فقل له: فليرفع يده من القتل**».

هذه الرجل يعلم أنهم الآن يعيشون حالة حرب.. وأن النبي ﷺ أمر قريشًا بالبقاء في بيوتهم لئلا يقتلوا.. فمن كان في غير بيته استحق المقاتلة.

ففهم من قول النبي ﷺ: «**يرفع يده من القتل**».. أي: يقتل كل من وقف أمامه.. حتى يرفع يده بالسيف؛ لأنه لا يجد من يقتل..!!

فأتى الرجل خالدًا فصاح به: يا خالد.. إن رسول الله ﷺ يقول: اقتل من قدرت عليه! فقتل خالد سبعين إنسانًا.

فأتى رجل النبي ﷺ.. قال: يا رسول الله.. هذا خالد يقتل.. فعجب النبي ﷺ.. كيف يقتل خالد وقد نهاه..؟! فأرسل إلى خالد ليأتيه.. فأتاه.. فقال ﷺ: «**ألم أنهك عن القتل؟**».

فعجب خالد وقال: يا رسول الله جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه.

فأرسل النبي ﷺ إلى ذاك الرجل.. فجاء ورأى خالدًا.

فقال له ﷺ: «**ألم أقل يرفع يده من القتل؟**».

فأدرك الرجل خطأه.. لكن الأمر انتهى.

obeikandl.com

فقال: يا رسول الله.. أردت أمرًا وأراد الله أمرًا.. فكان أمر الله فوق أمرك.. وما استطعت إلا الذي كان.

فسكت عنه النبي ﷺ وما ردَّ عليه شيئًا.

من تأمل في مسيرة الحياة وجد هذا الأمر ظاهرًا.. أحيانًا يكون الشخص قد فعل أحسن ما يستطيع.

ركبت مع أحد الشباب في سيارته.. فإذا قيادته جيدة.. وكنت أعلم أنه وقع له حادث تصادم قبل أسبوع.

فسألته: ألاحظ أن قيادتك جيدة.. فلماذا صدمت قبل أسبوع؟!

قال: كان لا بدَّ أن أصدم!!

قلت: عجبًا!!

قال: نعم.. كان لا بدَّ أن أصدم.. أتدري لماذا؟

قلت: لماذا؟!

قال: أقبلت بسيارتي على جسر وكنت مسرعًا.. فلما نزلت منه فإذا السيارات أمامي متوقفة صفوفًا.. لا أدري ما السبب.. حادث في الأمام.. أو نقطة تفتيش.. لا أدري.

المهم أني تفاجأت بها.. كان أمامي أربعة مسارات كلها مليئة بالسيارات.. وكنت مخيرًا بين أن أنحرف عنها كلها وأسقط من فوق الجسر.. أو أمسك فرامل بأقوى ما أستطيع، وعندها ستلعب بي السيارة في الطريق.

أو الاختيار الثالث.. وهو أهونها.

قلت: وما هو؟!

obeikandl.com

قال: أن أصدم إحدى السيارات الأربع الواقفة أمامي.

ضحكت.. وقلت:.. هاه!! وماذا فعلت؟

قال: خففت سرعتي قدر استطاعتي.. واخترت أرخص السيارات التي أمامي.. و.. و.. صدمتها!!

ثم ضحك بقوة وضحكت لكني فكرت بعدها فيما قال.. فرأيت أنه لا يستحق اللوم كثيرًا.. وذلك أن الاختيارات التي كانت أمامه محدودة.

يعني بعض المشاكل ليس لها حل.. شخص أبوه عصبي.. نصحه بجميع الأساليب ما نفع.. ماذا يفعل؟

لفتة

ضع نفسك موضع اللوم.

وفكِّر من وجهة نظره.. ثم احكم عليه.

obeikandl.com